فتاة موءودة

daralmotaqa@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

رقم الإيداع القانوني: 2017/20787

للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع وأي اقتباس أو إعادةطبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

المراجعة اللغوية والإخراج الفني: فريق العمل بدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف: شركة أرابيسك (الحلول المتكاملة للتقنية والتصميم) arabisq1@gmail.com

القاهرة / مصر

جوال: 00201278821670

00201003528058

daralmotaqa@gmail.com

أسماء ونان

فتاة موءودة

أوراق من مذكرات فتاة

مجموعة رائعة من القصص الواقعية

ملتقى المعرفة
للنشر والتوزيع

daralmotaqa@gmail.com

إهداء

إلىٰ من تحوم حولها الأحزان وتلاحقها أينما غدت أو راحت

إلىٰ تلك التي سُلبت الحرية .. فالنكسر القيود سويًا

أسماء وناف

daralmotaqa@gmail.com

المقام

كان عليهـــا أن تخبــئ ما ألم بهـــا من مصائب لـــم تعرف كيفية التصرف فوفاة زوجها كانت الطامـــة الكبرى، أما عن ذلك الثأر الذي أصبح ملازمها طيلة عمرها والذي لن تستطيع الملاص منه.

ليس هناك ســبيل بعد وفاة زوجها إلا الهــرب ولكن إلى أين؟ ليس هناك مكان ســيتركهم فيه هذا الثأر المصيبة الكبرى، إنها أنجبت توءما كانت تتمنى - لأول مرة فــي الصعيد - أن يكونا بنتين، لم يتمن أحد بنتًا من قبل في هذا المكان المقفر لكن هي فعلت.

إرادة اللــه أن يكونا ولدًا وبنتًا، البنت حلها ســهل ولكن الولد سيُقتل، ماذا عليها أن تصنع الآن؟

حتى القابلة التي قامت بتوليدها قد أشــاعت لأهل البلدة كلها أنها أنجبت توءمًا فيهم ولد.

أخذت تبكي وتنتحب ووالدتها بجوارها تواسيها وتحاول إيجاد حل لهـــا.. ثم قامت والدتها فجأة من مكانها وأمســكت بالطفلين بين يديها ونظرت لابنتها بابتســامة خبيثة، شهقت الابنة مما أرادته والدتها لها، وأحســت أنها قد فقدت عقلها.. ثم تريثت قليلًا ووجدت أن حل والدتها أفضل حل لحالتها، وأنه ليس هناك مجال لحلول أخرى ولكنه حل جهنمي لم يخطر على عقل أو قلب بشر من قبل.

مرت السنون وكبر الأطفال وصاروا شبابًا (**هند وماهر**)، ابتعدت الأم عن أعين الناس ولم تسمح لأحد أن يرى أبناءها أو اختلاطهم مع

أبناء القرية، إلا المارة كانوا يرونهم بالصدفة، أو عند الذهاب للسوق، والأم كالقناص وراءهم لا تسمح لأحد كان أن يقترب منهم حتى أن أهل القرية لم يكونوا ليفرقوا بين الفتاة والفتى من الشبه الكبير بينهما، ومن محاولتها لإخفاءهم بهذه الطريقة.

كانت على دراية تامة بكل خطوة تخطوها معهم إلى أين وما أرادته كان.. فقد أرادت ألا يعرف أحد شكليهما أبدًا، كانت الفتاة دائمًا ما تغطي وجهها كان أمرًا طبيعيًّا في القرية فكلهن يفعلن تلك الفعلة، ولكنها حتى في حضرة النساء الأخريات كانت تغطي وجهها تمامًا.

أما الفتى فكان خجولًا جدًّا تراه يبعد عينيه عن أي أحد ينظر إليه في استحياء شديد.

على الجانب الآخر كان هناك فتى يدعى «**صابر**» هذا الفتى هو الموكل بقتل «**ماهر**» للأخذ بالثأر لمقتل أبيه، الكل يعلم أنه كان يتعلم منذ نعومة أظفاره على كيفية قتل «**ماهر**» بأي وسيلة كانت، ولكنه الثأر؛ فليس على أحد أن يفتح فمه ويقول: خطأ أو صواب؛ تلك هي الأعراف هنا.

«**صابر**» تربى؛ فتى ذكي لماح قوي البنية مفتول العضلات؛ عيناه كالصقر لا يهاب أحدًا على عكس «**ماهر**» الذي تربى يتوارى من الناس كلما حل في مكان.. ثم إن والد «**ماهر**» مات سريعًا قبل أن يأخذ أهل «**صابر**» الثأر منه، فالسرطان فتك به قبل أن تجف تربة ابنهم، وتم تربية «**صابر**» علي أن يكون جنديًا وليس طفلًا وأوصاه أن يقوم بالثأر بأي وسيلة كانت وإلا عايره أهل البلدة ونعتوه بالمخنث.

كان «**صابر**» يتربص بـــ «**ماهر**» والذي قلما خرج من منزله كما يعلم الـــكل.. أما عن «**ماهر**» فقد تربي طيلـــة حياته على أن يهرب من البلـــدة وأن حريته بعيدًا عن هنا، وهذا ما لم تســـتطع أن تفعله والدتهم وهي امرأة بطفلين وليس لديها نقـــود، ولم تخرج من البلدة من قبل.. هذا إلى جانب أنهم كانوا سيتبعونها أينما حلت؛ لذا وجب عليها البقاء لتربيتهم حتى تحين اللحظة المرجوة بالفرار.

عزم «**صابر**» والذي ملأت أمه قلبه حقدًا وغلاًّ على ماهر وأسرته أن يخطفه ليعذبه أولًا عقابًا له على حياته البائســـة التي عاشها كجندي بســـببه، ولم ير فيها طفولة أبدًا، ثم ســـيقوم بقتله في النهاية حتى يرفع رأســـه في البلدة كلها، هكذا عليه أن يفعل كي يعيش حياته التي توقفت بسببه.

كانت عـــادة «**صابر**» أن يخرج قبيل صلاة الفجر ليشـــم أنفاس الهواء العليل، ويتلصص على «**ماهر**» ربما يجده في يوم ما حتى أصبح «**ماهر**» يخرج كل فجر هو الآخر، وكأن الحياة في ساعة الفجر لها لذة أخرى؛ يشم أنفاس الصباح وكأنها أول مرة يراها في حياته؛ كان يخرج متسللًا دون أن تشعر به أمه ليخطف من الزمن تلك اللحظات الحميمية الجميلة بينه وبين نسائم الفجر العليل.

وجد «**صابـــر**» أنه اعتاد الخروج في كل فجـــر في الآونة الأخيرة فأعد العدة لاقتناصه بأسرع فرصة كانت، وانتظره خارجًا في إحدى الأيام فهرول مسرعًا، وانقض عليه بضربة فوق رأسه أوقعته مغشيًّا عليه بسرعة.

قام بتغطيته بســـرعة البرق حتى لا يشـــعر به أحد، ووضعه فوق عربة كارو وهو ينظر يمينًا ويســـارًا كي لا يشعر به أحد، وانطلق بالعربة

بأقصى سرعة له بمعاونة حماره المتين الذي أخذ يجري بدون توقف، وكأنه يعرف وجهته إلى أين.

بعد فترة وجيــزة يبدو أنها قد مرت ســاعات على «**صابر**» قبل أن يفيق «**ماهر**» والذي كان يلف رأســه بربطة .. الرجال والتي تســمى «**العمة**» محكمة عليها فلم تنخلع من على رأســه حتى بدأ يفيق شــيئًا فشيئًا.. ويتحســس مكان الجرح برأسه التي ضربها «**صابر**» بقوة حتى يستطيع السيطرة عليه، أمسك برأســه والرؤية غير واضحة، يحاول أن يرى أمامه فكلما هم بالوقوف وقع مرة أخرى على الأرض.

بالجهة المقابلة له يقف «**صابر**» ممســكًا بسكين مسنون ينظر له في غيظ، ويقوم بسن السكين أمامه حتى يصبح نصله على أتم استعداد للتقطيع، كان مبتســمًا منتشــيًا من الســعادة فأخيرًا قد تحقق حلمه.. وهو الآن أمامه تركــه دون قيود حتى يريه الفرق بين قوته وقوة خصمه الضعيف من وجهة نظرة.

عــادت الرؤية إلى «**ماهر**» ومــا أن رآه حتى التصق بالحائط في خوف شديد وهو لا ينطق ببنت شفة، أما «**صابر**» فأخذ يضحك بصوت عالٍ جدًّا، ويلهو بنصل السكين أمامه، نظر إليه قائلًا: «مرحبًا أيها العزيز كم اشتقت لهذه اللحظة دهرًا».

أما الآخر ظل ملتصقًا بالحائط في خوف وعيناه متســعتان على آخرهما فأردف «**صابر**» حديثه قائلًا: «وهل أكلت القطة لســانك أو ما شابه أيها الأبله، هيا تحدث الآن».

ولكن «**ماهر**» ظــل محملقًا لا ينطق وهو يرتعد فانقض «**صابر**» عليه مشهرًا سلاحه على وشك غرســه في جسده فصرخ الآخر، وهنا

كانت المفاجأة.. خلع غطاء رأسه بسرعة وأغمض عينيه وصرخ: «انتظر أرجوك أنا «**هند**» لست «**ماهرًا**».. أنا فتاة».

وما أن رفعت الغطاء عن رأسها حتى انسال شعرها البني فوق جلبابها كأنه ذيل مهرة عربية أصيلة، وأمسكت بكوب ماء وألقته على وجهها وبدأت تمسحه بجلبابها فاختفى السواد به، وأسفر عن فتاة بيضاء جميلة أمامه شعرها كسواد ليلة مليئة بالنجوم الحالمة، وعيناها واسعتان كأنها فاكهة في أول قطفة لها وهي تبكي: «أرجوك لا تؤذني».

يبدو أن الدماء التي فقدتها كانت كثيرة فوقعت مغشيًا عليها مرة أخرى.

وقف «**صابر**» وكأن الطير على رأسه من هول المفاجأة، لا يعي ما يحدث ولا يعرف كيف عليه التصرف الآن، حاول إفاقتها وهو خائف من الاقتراب منها، ثم حملها ووضعها على الأريكة القديمة بهذه الغرفة المهدمة التي جلبها إليها والتي كان يعدها لقتل «**ماهر**» بها.. مكان مهجور، لن يعرف أحد طريقة لنجدة ماهر ولكن القدر كتب غير ما توقعه.

كل أحلامه الآن قد هُدمت تمامًا سيعايره أهل البلدة لو علموا أنه خطف فتاة ولم يقم بالأخذ بثأره، يا للعار والفضيحة! ما الذي عليه فعله الآن.. ثم إن أمامه فتاة جميلة ملقاة على أريكته في هذا المكان المهجور.. لم يحدّث فتاة من قبل، بل حتى لم ينظر إلى فتاة قط، وكأنه لأول مرة في حياته يرى فتاة، ويا للشيطان تكون شاهقة الجمال هكذا.

عليه أن يكبح جماح الشيطان الذي أصبح ثالثهما الآن، فأمسك بخرقة ملقــاة بعيدًا على الأريكة وقام بربط جــرح الفتاة جيدًا، وما أن أمسك برأسها حتى انسدل شعرها على يديه، ألقاها مسرعًا وهو خائف لا يعرف التصرف، لأول مرة «**صابر**» عاجز هكذا قال لنفســه لم يعتد العجز، لم يكن إلا قويًّا لا يهاب شيئًا الآن هو يجرب الخوف لأول مرة في حياته.

قام بصنع مشروب لها حتى يســاعدها على الشفاء، وهو يبتلع ريقه عند الاقتراب منها رفع رأسها بهدوء وبدأ يجعلها ترتشف منه حتى تسترد عافيتها، ولكنها رشفات قليلة وما زالت في نومها لا تفق منه.

يومان على هذا الحال وهو يقوم بإطعامها حتى تستفيق وتسترد عافيتها؛ إلى أن أصبحت صحتها جيدة تحســنت بعض الشيء، وما أن أفاقت حتى التصقت بالحائط خوفًا منه، وبدأت تتحســس ملابســها وجسدها لتتأكد أنه لم يمسسها بسوء، فنظرت له نظرة الفريسة الضعيفة: «أرجوك لقد تأكدت أنني لست ماهرًا، أخرجني من هنا».

كان ينظر لها دون أن يجاوب رجاءها، فعقله مشوش بين شيطان أحمق يحــاول التلاعب به، وبين قرية لن ترحمــه لو علمت ما كان.. يعاود الشــيطان إليه مــن كل جهة: «صوتها عــذب كعصافير الصباح المغردة حول النهر في فجر يوم مشرق» يتأفف ويستغفر وينفخ بفمه.

نظرت له في عطف وخوف: «أريد حمامًا».

أشــاح ببصره عنها وأشار إلى ركن بعيد في الغرفة مغطى بستائر قديمــة مليئة بالأتربة، فتخجــل وتضع ناظريها تجــاه الأرض، فيفهم ويخرج ثم يغلق الباب خلفه.

فـــي أثناء وقوفه خارج الغرفة أمســك بعصاه وبــدأ يضرب بها الأرض من قلة حيلته، ثم هدأ وجلس على ركن يفكر فيما عليه فعله.

في هذه اللحظة فتحت هي باب الغرفة، وانطلقت تجري مسرعة وتصرخ: «النجدة النجدة».

تجــري على غير هدى لا تعرف إلى أين عليها الذهاب، أو من أي طريق تسلك؛ المكان محاط بالجبال من كل صوب وحدب؛ ليس هناك مجال للخروج منه أبــدًا، كان الظلام حالكًا والرعب لا يفارقها حتــى ابتعــدت، ولكن ما زالت الجبــال محيطة بهــا ولا تدري أين وجهتها.

فجأة وجدت ذئبًا أمامها ظهر من اللا شــيء وهو يزمجر بأسنانه الحادة في اســتعداد للانقضــاض عليها، تعالــت صرخاتها فوجدت الشاب الذي اختطفها مسرعًا ناحيتها مشهرًا سكينه أمام الذئب وانقض عليه كالأسد، وغرســه بداخله، وأرداه قتيلًا في الحال، فنظرت له في دهشــة وهي لا تصدق ما تراه أمامها فقالت: «أشــكرك على إنقاذي، ولكن رجاء أخرجني من هنا.. اتركني أذهب».

فنظر لها وقال: «افهمي أيتها الفتاة لا أنا أستطيع تركك، ولا أنت تســتطيعين الذهاب إلى هناك مرة أخرى، فعلينا أن نفكر الآن بعقلانية لنجد حلاً لما نحن فيه.. لن يتركنا أهل البلدة أحياء ثم أنت فتاة تعلمين لن يرحموكِ».

«لما؟ لم أفعل شــيء.. ثــم إنك..» فســكتت لبرهة وأكملت حديثها: «إنك شــهم لم تمس شرفي بسوء بغض النظر عن إصابتك لي في رأسي والتي ما زالت تؤلمني».

«أنا رجل صعيـــدي لن أقترب من فتاة بل علـــيَّ حمايتك، ولكن كيـــف؟ عليَّ أن أفهم ما حدث؟ كيف أنت «**ماهر**»؟ لا أفهم ما حدث لقد تم خداعي» قالها في غيظ وألقى بسكينه فانغرست بالتراب الكثيف أمامه.

«أفكر في طريقة لخروجك ولكن عقلي مشوش لا أعرف كيفية التصرف» وعض على شـــفتيه في غيظ «ما الذي ســيُقال عني الآن في البلدة.. يالذكائكم كيف اســتطعتم التفكير في هذه الفكرة الجهنمية.. تقعيـــن أنت بين يدي علـــى أنك «**ماهر**» وتقوم هـــي بتهريبه، وأنال أنا الملامة من أهل البلدة وأصبح أبلهًا أمامهم».

أنزلت رأســـها في الأرض خجلًا منه، وعيناها مليئة بالدموع ثم قالت في حزن: «لم تعرف كيف عشـــت حياتي بســـببك على أنني ذكر طيلة حياتي، لم يســـمحوا لي ولو للحظة واحدة أن أكون فتاة، صدقني أنا ضحية ولست مشتركة في أي جرم كان.. عشت حياتي مكبلة هكذا لحماية أخي.. لم يكن بيدي الاختيار صدقني».

فنظر لها رادًّا على كلامهـــا: «وهل كان مخطط أمك قتلك بدلًا من أخيك؟.. لأنه يبدو لي كذلك!».

ســـكتت لبرهة فحديث عدوها صحيحًا، هـــل كان هذا مخطط أمهـــا وجدتها قبلها التـــي خططت لكل هذا منذ ولادتهما.. أحســـت بالحزن والحيرة الشـــديدة فيما عليها أن تفعل الآن أنه على حق، وهي الآن إما أن يقتلها هو، أو تقتلها البلدة التي لن تصدق بقاءها شـــريفة مع رجل في الصحراء لم يمسسها بسوء.

مرت ليلتان أخرتان وكان هو شديد الحياء في التعامل معها بعد أن عادت برضاها إلى مضجعه المهدم بهذا المكان المقفر، وكان يأتيها

بالطعام وكل مـــا تريد ويجلس بالخارج حتى يحل الليل ينام في العراء يحميها من الذئاب غير مبالٍ بنفسه بين الثعابين والحشرات الضارة التي قد تصيبه بأذى.

في الليلة الثالثة جاءها بالطعام ووقف هذه المرة بداخل المنزل لم يخرج ونظر لها قائلًا: «اســمعي يا «**هند**» علينا الخروج من هنا بأي شــكل كان، ولكن لن يرحمنا أهل البلدة ســيظنون بنـــا الظنون أعتقد لو أننا..» ثم ســكت وتلعثم.. وأكمل حديثه: «أعتقد لو أنك تزوجتِ مني ستخرس هذه الألسنة وسأتحمل أنا اللوم كاملًا بدلًا عنك».

فنظــرت له في تعجب قائلة: «ولما عليك تحمل اللوم عني.. اسمع يا «**صابر**» لقد عشت حياتي كلها مجبرة على ألا أكون نفسي، علــيَّ ألا أفعل إلا إرادتهم هم فقط لن أســمح لأحــد أن يتحدث عن شــرفي بســوء وليثبت هؤلاء الحمقي صحة حديثهم إن كانوا صادقين».

حاول معها مرارًا أن يخبرها أنه لا مفر، وأنهما ســيرجما بتهمة الزنا، وأنها ســتقتل دون حتى أن يتحققــوا، ولكنه اهتدى إلى أمر آخر خرج وأحضر بعض الحبال ونظر لها: «اسمعي، علي أن أتحمل اللوم كله، لن أســمح لهم أن يمسوكِ بسوء، ســأقوم بتقييدك وأخبرهم إنني اختطفتك وليفعلوا بي ما يحلوا لهم لا أهتم».

تعجبت من فعلته: «ولما عليك أن تتحمل اللوم وحدك، لقد تم خداعك مثلي تمامًا».

قال لها: «اســمعي، ليس هناك مجال للتفاوض.. سأتحمل أنا اللوم أيًّا كان هيا بنا».

كبل يديها بسرعة وحملها فوق عربة الكارو بالخارج، ووضعها فوقها وهَمَّ بالخروج بســرعة وهو قد جهز العدة لتلقي اللوم كاملًا كما وعدها.

دخل إلى أهل البلدة وهو لا يهاب أحدًا، ووقف أمامهم والكل كان يتحدث عن اختفاء هند وصابر، بالطبع كانوا قد ألفوا الأقاويل عليه وعليها، وعند دخوله إلى القرية تجمع الناس من حوله والكل يشــتاط غضبًــا، وكانت والدتها قد قامت بالواجــب وهيجت أهل القرية على «**صابر**» وأخبرتهم أنه خطف الفتاة وترك الثأر.

أنزلها أمام الجميع وهي مكبلة، وأخرج مــن العربة كفنًا أبيضًا ووضعه بين يديه وجلس على ركبتيــه وعيناه في التراب لا تُرفعان من الأرض، وقال في صوت عالٍ: «أنا أمامكم فلتختاروا العقاب المناسب لي، لن أجادلكم».

ولكن «**هند**» صرخت بأعلى صوت لهــا: «أيها الناس، إن هذا الشاب لم يمسسني بســوء، لقد ألبستني أمي ملابس..» وأسكتتها أمها بســرعة: «اخرســي أيتها الفتاة ماذا أنت فاعلة.. اتركيهــم يقتلوا هذا الأحمق الذي دنس شرفنا في التراب».

فتركت أمها ووقفت أمامه: «قل لهم إنك كنت ضحية مثلي، قل لهم: إنني كنت أرتدي ملابس «**ماهر**» قل شيئًا».

في صــوت خافت قال: «لن يصدقوا شــيئًا من هذا، لســنا في مسلسل تلفزيوني هنا».

فقامت والدتهــا بصفعها أمام الجميع وقالــت تخاطب الناس الواقفين أمامها: «سيغسل هذا الأحمق عارك الليلة وإلا قتلناه جميعًا».

وقف شــيخ البلدة بعصاه الغليظة التي تسمي نبوتًا وقال: «الليلة عرس «صابر» و«**هند**» لا أريد سماع أي أحد يتحدث في هذا الموضوع ثانية، انتهي النقاش فلتذهبوا جميعًا إلى بيوتكم الآن».

انصرف أهل البلدة والكل يحكي أساطير عن «**هند**» و«**صابر**»، أما الأم فابتســمت ابتســامة النصر التي كانت تنتظرهــا، وفي المنزل أخرجت فســتان عرســها الأبيض على والد «**هند**»، ونظرت إلى ابنتها الواقفة أمامها: «حبيبتي لا تدرين كم سعادتي، لقد أنقذتك أنت وأخاك في يوم واحد، لا أعرف كيف أشــكر أمي علــى فكرتها تلك.. وأخيرًا سأنام قريرة العين».

فنظرت البنت إلــى أمها وعيناها مليئــة بالدموع: «لقد لطخت سمعتي في الوحل وأجبرتيني على الزواج دون رأي مني حتى».

فنظرت الأم إلى ابنتها في خبــث: «هل تكرهينه.. لا أرى ذلك في عينيك؛ أراهما مملوءتان حبًّا وشغفًا، أعرف هذه النظرة جيدًا؛ كنت أرى والدك بتلــك العينين حتى إنني رأيتها في عينيــه.. ثم كيف له أن يتلقى اللوم ويفعل بنفســه ما فعل من عار لحق بأسرته كلها من أجلك إلا لأنه أحبك.!؟ أخبريني الآن هل حدث بينكما شيء ما؟».

فخطفت الفســتان منها وهــي تبكي: «لن أخبرك شــيئًا أول مرة سأكون فتاة، سأرتدي هذا الفســتان لخاطفي.. فليسامحك الله يا أمي».

وبدأت ترتدي الفتسان والمنزل مليء بالنساء بعد أن كان خاليًا لا يدخله أحــد، وعلت الزغاريد في كل مكان، وازدادت «**هند**» جمالًا على جمالها بعد وضع مساحيق التبرج لها.

كان العـرس الأغرب في القرية؛ فأهل العـروس والعريس لم يحضراه؛ الكل غاضب من الآخر، وأهل البلـدة قاموا بزف الفتاة إلى مكان عرسـها.. كان «**صابر**» واقف بجلباب أبيض أمام منزله ينظر لها، وكأن العالم قد خلي من الناس إلا منها، وعندما اقتربت من شيخ البلدة أمسك بيدها ودخل بها إلى منزله حيث عائلته كلها واقفة أمامه؛ رفضوا جميعًـا دخولها المنـزل وصرخوا في وجه ابنهـم.. نزلت منها دموع وقبضـت بيدها على يده في خوف صرخت أمـه في وجهه: «خذ هذه الملعونة خارج منزلي، واخرج معها الآن لقد وضعت رؤوسـنا جميعًا بالوحل بفعلتك، اخرجا من بيتي الآن».

حاول شـيخ البلد التدخل دون جدوى فأسكته «**صابر**» وذهب إلى أمه وقبَّل يدها: «لن تري وجهي مجددًا يا أمي».

كانت «**هند**» تنظر لفعلته في سـعادة وهو ممسك بيدها بين كل أهل البلدة يمشـون إلى خارجها وهو رافع رأسه لا يهتم لأحد، كانت تنظر لـه وكأن الدنيا كلها قـد حيزت لها الآن، كم تمنـت رجلًا مثله يحـارب الدنيا كلها من أجلها، لكنها لـم تتوقع أن يكون عدوها الذي تربت على كرهه هو حبيبها الآن.

تحدثت له في همس: «أنت رجلي الآن سأكون لك كل نساء الدنيا».

فبادلها النظرة في شـوق وحب: «وأنا سأكون لك كل الدنيا، لن تهابي أحدًا وأنا معك».

يُقال: إنهما عاشـا في الإسكندرية وهناك من يقول: إنهما عاشا في القاهرة، ولكن هناك من رآهم وأقسـم على أنـه لم ير حبًّا كما رآه بينهما، حتى أولادهما كانا ينعمان بهذا الحب.

تحول مكان احتجاز «**هند**» بعد سـنين إلى مـزار بالجبل يأتي إليه أهل القرية والقرى المجاورة حتى مع مرور الزمن تحول إلى مقام يعتكف فيه أصحاب الطوائف الدينية التي تقدس المقامات، وسـمي مقام «**الشيخ صابر**»، أصبح يأتي الآن إليه الناس من كل حدب وصوب لتلقي البركات والصلاة.

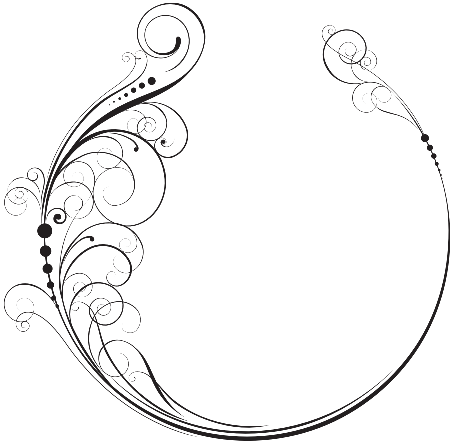

الولد

أصوات الزغاريد تملأ المـــكان؛ إنه يوم زواج «**صفاء**»، تتعالى الضحكات وهي في أبهى حلة لها اســتعدادًا لعريسها.. الليلة الكبرى الكل يهنــئ ويبارك، تم إعــداد الوليمة في منزل العريس «**حســان**»، وهى الآن تتوجه من منــزل أهلها إلى منزل أهله كعادة الصعيد؛ تتزوج وتســكن مع أهله في المنزل غرفة بالطابق العلوى؛ يقوم الأهل ببنائها ليتزوج ابنهم فيها.

فتاة صغيرة يتم اختيارها بعناية، وكلما كانت خجولًا وأصغر في السن كلما كانت فرصها في الزواج أعلى.

كان يومًــا شــاقًّا للفتاة التي لا تعرف شـيئًا عن الــزواج؛ فمن العيب أن يتم إخبارها بأي شــيء، بالطبع كانــت الصدمة الكبرى لها يوم الزفاف، فبالرغم من معرفة أهل العريس الجيدة بأهلها، وحتى أنها جارتهم، ويعلمون أنها صغيرة في السن، وأن أخلاقها حسنة إلا أنه من العادة التأكد من الشــرف والتباهي به أمام الكل «يوم الدخلة البلدى» كما يدعونه، الفتاة لا تعرف لما تجرها النســاء ويقف عريسها أمامهم، ولمــا تم الهجوم عليها بهذه الطريقة بالطبع كما هو متعارف يتراقصون بمنديل الشرف أمام الكل أن ابنتهم طاهرة عفيفة.

انتهــى اليوم وهي فــي صدمة كبرى وخجل أكبــر، لم تعتد أن تنكشف عورتها هكذا إلا أمام نفسها فقط، ما بال النسوة يفعلن ما فُعل بهن في السابق؟ ألم يتذكرن ذلك اليوم؟ ألم يكن يومًا يقمن مفزوعات

من نومهن بسبب ما؟ الم يتسبب في الم نفسي بداخلهن.. يبدو أن آلام الحياة بعده كانت كفيلة أن تجعله يُنسى فهناك ما هو أسوء منه.

بدأت «**صفاء**» تحاول التأقلم مع الوضع الجديد في الحياة مع زوجها.. يوم شاق منذ أن انتهى أسبوع العسل نعم أسبوع يكفى! من قال: إنه شــهر؟.. تصحو من النوم قبل الكل، عليها أن تنظف المنزل بأكمله، وتقوم بإطعام الحيوانات وحلب الأبقار وتنظيف مخلفاتها، والعجن وإعداد الفطور للمنزل كله.. قس على ذلك الضيوف الذين لم يخلُ المنــزل منهم فتقوم بإعداد الولائم لهم وغســل الأطباق.. لا تعلم كم مرة عليها غســلها في اليوم.. لا تعد، ثم ما زاد عليها أنها حملــت؛ بالطبع لم يغيــر أمر الحمل من شــيء، فواجباتها المنزلية لا تنتهي.. وعليها آخــر اليوم أن تكون كأول يــوم زفاف لها جميلة ومتزينة لزوجها.

مرت أعوام، عشر سنوات كانت قد أنجبت فيهن خمس أطفال، تزوجت في الخامسة عشــر وهى الآن في الخامسة والعشرين، ولديها خمــس أطفال، لو رأيتهــا لاعتقدت أنها في الخامســة والأربعين من الهموم والأحمــال.. ولكن الطامة الكبرى أنهــن كن خمس فتيات.. بالطبع مصيبة في الصعيد ياللكارثة خمس فتيات؛ كان عليها أن تتحمل فوق كل أعبائها الكلام الجارح من والدة الزوج، والمعاملة التي كانت تسوء أكثر كل مرة تأتي بفتاة.. غير معاملة نساء القرية اللائي كن يعتقدن أنها فأل ســيئ، ويخبئــن أولادهن منها، ويعاملنها معاملة قاســية غير ما كانت تسمعه أثناء مرورها وهى تحمل فضلات الحيوانات لتلقي بها في «الخرابة» كما يدعونها مكانًا مهجورًا يُلقى فيه بالنفايات.

قس إلى ذلــك الضيوف؛ كانــت تجلس في المطبــخ تعد لهم الولائم وهى تســتمع إلى أحاديثهم: «أيها «**الحاج محســن**» كيف لك الســكوت على هذه الســيدة التي لا تأتي منها إلا الفتيات؟ لقد جلبت لك ســوء الطالع.. ابنة «**الحاج عمران**» تُوفي زوجها ولديها ولدين، إنها مهرة تنجب الأولاد، اعقد العزم وزوجها ابنك، نريد أن نرى خلفك قبل رحيلنا».

يغتاظ «**الحاج محســن**» وينادي على «**صفــاء**»: «أيتها ال... - يســبها -.. تعالي إلى هنا، تأخر الغداء كثيــرًا، تحركي ما الذي أخَّركِ هكذا؟».

تأتي مســرعة وهي تحمل صينية مليئــة بالطعام والكل ينظر لها في اشــمئزاز شديد، تجري مسرعة إلى غرفتها وتحتضن فتياتها وتبكي شاكية همها إلى خالقها فمن ذا الذي سيهتم بحالها!

لم يمر الشــهر إلا وزوجها تزوج «**عواطف**» ابنة «**الحاج عمران**» صاحبهم، بالطبــع تركت ولديها مع أهل زوجها علــى أن يزورانها بين الحين والآخر.. فهم ذكور ولن تخاف عليهم، قام «**الحاج محسن**» بأخذ الغرفة التي تقطن بها «**صفاء**» وبناتها وقام بتزيينها، وشراء أثاث غرفة نوم جديد للعروس الجديدة، وإعطاء «**صفاء**» غرفة صغيرة بالأسفل بجوار المطبخ حتى تســتطيع خدمــة الكل بإتقان، لم يمر شــهران إلا وكانت العروس الجديــدة قد حملت وملأت الزغاريد أرجــاء المكان وهللوا ورقصوا لها استبشارًا بأنها ستجلب لهم الولد «ولي العهد المنتظر».

كانــت «**صفاء**» فــي حزن شــديد لا وصف لــه إلا أنها كانت تحاول أن تتماســك من أجل فتياتها ودائمًا ما تشجعهن، وتخبرهن أن

التعليم هو الحل لهن؛ كانت ابنتهـــا الكبري «**هناء**» من المتفوقات في المدرسة.. وعندما تجلب شهادتها إلى والدتها التي لا تستطيع القراءة كانت ترقص من الســـعادة رغم أميتها، إلا أنها تعلم جيدًا أن التعليم هو الحل الأمثل لما هي فيه وحتى لا يمر بناتها بنفس مصيرها.

مرت تسعة أشـــهر، وكان يوم ولادة «**عواطف**» الكل منتظر في شغف أن يجيء الولد، فإن جاء فقد هُدمت كل فرص «**صفاء**» أمامها، وكان ما خافت منه؛ فقد أنجبت ضرتها الولد، أسموه «**ناصر**»، كان هذا اليوم ســـعادة وأفراح وولائم لكل من جـــاء يهنئهم بالوريث.. حاولت «**صفـــاء**» أن تذهب إلى بيت أهلها وتترك منـــزل زوجها؛ إلا أنه بالطبع ممنوع الطلاق، ثم إنها لا أحقية لها في بيت أبيها إنها امرأة، والمرأة في عرفهم لا يحق لها أي ميراث.

عادت مرة أخرى إلى بيت زوجها وإلـــى الغرفة المهدمة؛ التي كان عليها أن تعيش فيها، مرت الأعوام وكان «**ناصر**» المدلل وأمه هم أسياد الدار، أما عن «**حســـان**» - الزوج - فقد تناسى كون أن لديه أبناء آخرين ســـوى «**ناصر**»، لا ملابس جديدة للفتيات كانت «**صفاء**» تأخذ فضلات الملابس التي تلقيها زوجة الأب «**عواطف**»، وتقوم بحياكتها لبناتهـــا اللاتي كن جميعًا متفوقات في الدراســـة، ابنة «**صفاء**» الكبرى «**هناء**» كان مجموعها في الثانوية العامة يؤهلها لدخول كلية الطب في تلك اللحظة رفـــض الأب لأن مصاريف الكلية عاليـــة، ثم إن صديقه يريدها زوجة لابنه وهي في السادســـة عشر الآن سن مناسب للزواج، والفتاة جميلة وممشـــوقة القوام، في تلك اللحظة تحولت «**صفاء**» إلى شخص آخر، وقامت بالصراخ ووقفت أمام غرفتها وهي ممسكة بابنتها

وراء ظهرها قائلة: «لن تتزوج ابنتي إلا على جثتي» كانت في حالة هياج شديدة على غير عادتها، فابتسم «**حسـان**» وتركها وذهب إلى حجرته محتضنًا ابنه «**ناصر**»، أما والده «**محسـن**» فضحك وأشار لها بالجنون وأخبرها أنه لن يدفع مليمًا واحدًا لتعليم ابنتها.

جـاء صباح اليوم التالي و«**الحاج محسـن**» جالس على أريكته ينـادي على «**صفـاء**» أن تجلب له الفطور كعادتـه إلا أنه لا مجيب.. فدخل ليرى ما الذي يؤخرها هكذا، لكنه لم يجدها لا هي ولا الفتيات.. فاغتاظ ونادى على ولده «**محسـن**» ليروا إلى أين ذهبت وجلبت لهم العار.. لكن لا شيء.

كانت «**صفـاء**» قد علمت أن هذا اليوم سـيأتي، وكانت تعد له؛ فأثناء رميها للقمامة تعرفت على سـيدة من قرية مجـاورة أخبرتها أنها تعمل خادمة في القاهرة وحارسة لإحدى العمارات، وبعد شرح مفصل لماهية الوظيفة كانت قـد قامت بتحويش مبلغ صغير ليسـاعدها على السفر بعد أن اتفقت مع السيدة - التي أصبحت صديقتها فيما بعد - على أن تعمل حارسة في عمارة هناك، وسيعطونها غرفة أسفل السلم لها.

ركبت «**صفاء**» القطار ويالشـجاعتها لم تخرج من قريتها ولا مرة واحدة ولكنهـا صبورة وذكية، أخـذت معها الفتيـات الخمس وكانت صديقتها فـي المحطة لاسـتقبالها.. عالم آخر لم تره مـن قبل؛ القاهرة العامرة الكبرى، مبان مرتفعة، وأناس بملابس جميلة وشـوارع واسـعة إلى جانب المأكولات التي كانت أشكالًا وألوان وأنواعًا لم ترها من قبل، كانت هـي والفتيات ينظرن في ذهول لكل مـا حولهن حتى وصلت إلى مكان عملها الجديد، رحب بها أهل العمارة وكان الكل يسـاعدها ويأتي

بملابس جديدة لها وللفتيات، كانت سعادة «**صفاء**» لا توصف حتى أن إحدى السيدات بالعمارة كانت مديرة مدرسة أخذت أوراق الفتيات وقامت بتسجيلهن في مدرستها، وكانت تشرف على دراستهن بنفسها، أما البنت الكبرى دخلت كلية الطب جامعة عين شمس وبدأت الحياة أخيرًا تزدهر لـ«**صفاء**» ولبناتها. لم تشعر بالسعادة كما شعرت في هذا الوقت؛ لقد عوضها الله بعد كل المعاناة التي رأتها في حياتها.. بناتها كن أحن ما يكون؛ يقمن باكرًا ويساعدنها في أعمال العمارة وغسل السلم جيدًا.

مرت أعوام أخرى كانت أجمل الأعوام على «**صفاء**» التي لم تر في حياتها إلا التعاسة الآن تبدل حظها وفتياتها جميعًا في كليات القمة؛ كانت الابنة الكبرى من الأوائل على الجامعة، وقد فازت بمنحة دراسية إلى أمريكا لاستكمال الدراسات العليا هناك، عملت لفترة في أمريكا ثم عادت ومعها شهادات كبرى من الجامعات الأمريكية كعالمة في الفيزياء النووية، وهنا جاءت بالعديد من النقود واشترت منزلًا فخمًا لوالدتها، تزوجت زميلًا لها يعمل مهندسًا في أحد المشاريع الهندسية العملاقة، وهنا تم استضافتها في التليفزيون كفخر لبلدها على إحدى القنوات الفضائية في هذه اللحظة كان الجد «**محسن**» جالسًا أمام التلفاز حين رآها وعلم بمكانهن، فاغتاظ جدًّا لأن الأم «**صفاء**» قد وضعت رأسهم في التراب، وهربت منهم.

أسرع على أول قطار إلى القاهرة ومعه ابنه «**حسان**»، وبعد بحث مضنٍ توصلا إلى منزلها في مدينة نصر؛ دق الجد جرس الباب، وقامت «**صفاء**» لتفتح ففوجئت بهم أمامها، أزاح الجد الباب من طريقه ودخل وبدأ ينظر إلى الشقة الفخمة والأثاث الجميل أمامه، جلس على الكرسي ونظر لها قائلًا: «من أين لك كل هذا؟ ما الذي

فعلتِه من ورائنا.. انتظرت هذه اللحظة طويلًا حتى أراك أيتها المجرمة التي وضعت رأسي في التراب، لولا حفيدي «**ناصر**» لكنت الآن من المشؤومين في القرية».

صرخت في وجهه وجاءت بصور فتياتها وبدأت تريه كيف أصبحن من أجمل ما يكون علمًا ومكانة، وكيف كان حالهن معهم وإلى أين صرن، وفي هذه اللحظة بكى «**حسان**» ونظر لوالده وقال: «يا أبي كفاك بالله عليك كفاك، لقد جعلتني جاحدًا على بناتي وكنت أنا طوع أمرك في كل ما تريد أسمع كلامك.. الآن هن في أحسن حال لو كانوا معي لما أصبح حالهن هكذا، ثم إن «**ناصر**» الذي تتباهى به من هو الآن؟ ذلك الابن العاق السكير الذي لم يجلب لي إلا المتاعب والمصائب».

أبوه في انفعال: «صمتًا أيها الأبله إنه الولد، ولا أسمح لأي كان حتى لو كان ابني أن يتحدث عن وريثي هكذا».

من بعيد كانت «**هناء**» قد حضرت وكان الباب مفتوحًا فدخلت وهي تضحك: «فلتأخذ وريثك معك أيها الجد؛ لا نريد منك ولا من وريثك أي شيء كان.. أترى ما معي هنا؟ إنها تذاكر طيران لأمي سآخذها لتغير جو في أمريكا قليلًا، والآن أسعدنا وجودك في هذه اللحظات القليلة وعفوًا فأنت غير مرحب بك هنا».

مضى الجد في سبيله وبالفعل سافرت «**صفاء**» مع ابنتها إلى أمريكا عالم أكبر من القاهرة وأجمل، لم تتخيل أن قرارها في الهروب ببناتها من البلدة القاسية كان صائبًا، وأن حياتها ستتبدل هكذا، وأن الله سيعوضها عن كل ما رأته طيلة حياتها المريرة بعد انقضاء مدة السفر وعودتها من أمريكا وقيامها بالسفر إلى السعودية مع ابنتها الوسطى والتي تزوجت شابًّا يعمل هناك أستاذًا بالجامعة؛ قامت بعمل عمرة

وحج، وعادت إلى مسـكنها بمدينة نصر مع ابنتها الصغرى التي كانت طالبة بكلية الآداب وبالطبع من الأوائل كعادة بناتها.

كان هناك اتصال من البلدة بأن الجد في سـكرات الموت ويريد أن يراها والبنات، حاولت «**هناء**» أن تقنعها بعدم الذهاب لكنها أصرت أن تذهـب وأن الموت ليس فيه كبر، فذهبت معها إلى القرية بسـيارتها الفخمة، وما أن وطأت أرض القرية حتى ذهل الجميع أنها «**صفاء**» ذات الملابس البالية كبرت في السن نعم، ولكن ترتدي أفخم الملابس وابنتها هناك لا أحد يصدق مـا آل اليه أمرهما، توجها إلى منزلهما القديم منزل «**الحاج حسان**»؛ لم يتغير البتة بل كل ما حدث أن أصبحت الحيطان بالية مهدمة، والجد مسـتلقٍ على أريكته ولكن هذه المرة لا يستطيع الحراك و«**حسـان**» بجواره يبكي وزوجته «**عواطف**» تنظر في ذهول لـ«**صفاء**» والتي اعتادت أن تكون خادمتها كيف آل إليه الأمر، وكيف أصبحت الآن ياللزمـان وفي هذه الأثناء «**ناصر**» ينزل من غرفـة والده بالدور العلوى وهو ممسـكًا بسـيجارة في يده ويتطوح يمينًا ويسارًا من السكر وهو لا يرى أمامه فنظر لجده وابتسـم وهو غير مهتم ثم خـرج. نظر الجد إلى «**صفاء**» في حزن وإلى ما حدث له ولحفيده الذي كان عاقًّا به وبدأ يبكي ويقول لـ«**صفاء**»: «سامحيني يا ابنتي أرجوك سامحيني».

فابتسـمت «**صفاء**» وقالت: «بل أنا أشكرك لقد كان ما قمت به من قسوة تجاهي هو سبب في وصولي لما أنا فيه الآن».

القبيلة

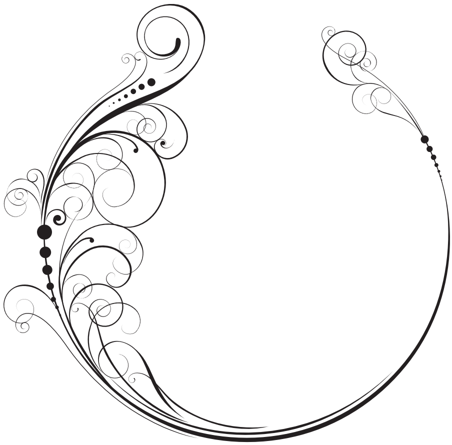

كان عليهـــا أن تعيـــش تلك المنبـــوذة التي رفضهـــا الجميع.. منذ نعومـــة أظفارها عندما تريد اللعب مع أبنـــاء الجيران ما كان منهم إلا نفورها ونهرها.. كل هذا بســـبب العـــادات والتقاليد ففي الصعيد عليك أن تولد في قبيلة كبرى وإلا ستعيش تعيسًا إلى الأبد.

«**نهار**» فتاة لم تختر حياتها، لم تختر كينونتها لم تختر أي شـــيء مثلها مثل الجميع؛ إلا أن الاختيار في نظـــر المجتمع يقع على عاتقها هي منذ ولدت تُوفي والدها، وكانت الأم مسكينة لا حول لها ولا قوة، عاشت مع أمها في بيت جدها الضرير، ضيق الحال.

كان لديـــه عربـــة صغيـــرة يجرها الحمـــار يبيـــع عليها بعض الخضروات والفواكه، وكانت أمها تســـاعد الجد في حمل العربة، أما عن «**نهار**» فقد كانت تجلس وتتعلم فن الصنعة منهم، ولما وافق سنها دخول المدرسة لم تتهاون والدتها ولو لحظة واحدة أن تدخل «**نهار**» المدرســـة.. لكنها لم تكن تهوى التعليـــم ولا تحب إلا اللعب واللهو إلى جانب أنها كانت بارعة جدًّا في البيع والشراء رغم صغر سنها فقد شـــربت الصنعة بإتقان رغم لهوها إلا أنها كانت ذكية جدًّا، وكانت من أوائل المدرسة دائمًا.

كبرت في وســـط لم تر فيه إلا القســـوة تجاهها مـــن المجتمع الخارجـــي، ونبذها لظروف لـــم تخترها وحدهـــا؛ إن كان على الفقر كان كل أهل القرية من نفس الحـــال ولم تكن ظروفها المادية تختلف

عنهـــم كثيرًا إلا أنهم اختاروا شـــماعة ليعلقوا عليهـــا حماقتهم، كانت أوقات «**نهار**» المفضلة هي عند ذهابها بصحبة جدها إلى المدينة لنقل الخضروات هناك في أحد النوادي التي تطل على الشـــاطئ، كان هذا الرجل غريب الأطوار جالسًا دائمًا على الكرسي المقابل للنهر لا توجد على وجهه إلا علامات الصمت الدائـــم لا يبدي أي انفعالات من أي نوع ســـوى أنه يراقب المارة، لطالما اعتاد أن يعطي «**نهار**» نقودًا كثيرة كلمـــا رآها أمامه وكانت هـــي تجري ناحيته لتنال النقـــود الكثيرة التي تشتري بها دائمًا كراسات رسم؛ لأن هوايتها المفضلة كانت الرسم.

في مرحلـــة الثانوية العامة كانـــت بالطبع تلـــك المتفوقة التي اعتـــادت أن تكون، ولكن معلم اللغة الفرنســـية - والـــذي كان يعتبر من أبناء قبيلة الدهاشـــنة والتي تعتبر من أكبـــر القبائل بالمنطقة بالطبع كشخص ولدتَ في كنف هذه القبيلة عليك أن تحصل على كل النفوذ الذي يحيط بها، قس على ذلك الوظائف الحكومية فلهم كل الوظائف الكبرى والمناصب، أما الوظائف التي تعتبر مكانتها دنيا كعامل النظافة أو فتى تقديم الطلبات وغيرها فتترك لأبناء القبيلة الأخرى والتي تنتمي لها «**نهار**» وهي قبيلـــة النهاودة، والتي من الممكن أن تأخذ منهم أيضًا هذه الوظائف لذلك لجئوا للأعمال الحرة كالبقالة إن كان لديهم نقود أو بيع الخضروات وهكذا.

كان معلم اللغة الفرنسية ذلك الشخص العنصري، والذي يكره أبنـــاء الطبقة الدنيا ولا ســـيما أبناء قبيلة النهاودة، كان يعامـــل «**نهار**» معاملة قاســـية حتى أنـــه كان يتحجج لها بأي حجـــة حتى يطردها من الفصل.

بدأ المشـــوار عندما لم تعلم لما يعاملهـــا المعلم هذه المعاملة القاســـية دون أدنى ذنب اقترفته، حاولت أن تعرف من زميلاتها اللاتي كن لا يتقبلنها إلا القليل منهن حتى رأتها واحدة منهن جالسة تبكي آخر الرواق فأحست بالشـــفقة تجاهها فجلست بجوارها وأخذت تواسيها في تلك اللحظة كان ســـؤال «**نهار**» عابرًا جدًّا: «لما يفعل معي أســـتاذ «**عماد**» هذا؟.. لم أقترف شيئًا».

فصمتت صديقتها لبرهة من الوقت ثم أخبرتها بالحقيقة المرة: «الأســـتاذ كان بعد طردك مـــن الفصل يخبرنا أنك حقيـــرة، وأنك من النهاودة وهو لا يريدك في حصته».

ســـمعت «**نهار**» حديث صديقتها وكأن جبـــال من الأحزان قد سقطت عليها، لم تتمالك نفسها من النحيب الشديد وجرت على أمها تحتضنهـــا بقوة وهي تبكي، في هذه الأثنـــاء بدأت ترفض الذهاب إلى المدرســـة، وكانت تفضل المذاكرة من المنزل كان جدها قد توفي في هذه الأثناء فزادت أحزان على أحزانها.

كانت نتيجة الثانوية غير سارة لها فقد تركت الاهتمام بالمذاكرة، وانغلقت على أحزانها كان مجموعهـــا يكفي لتدخل كلية التجارة، لم تيأس وحمدت الله على ما أعطاهـــا فأغلب قبيلتها غير متعلمين وهي تعتبر من الشـــواذ اللاتي وصلن لمرحلة الجامعـــة، ثم إن كلية التجارة ســـتكون نافعة في البيع والشراء، وربما تكبر مشروعها بالطبع لذكائها، كانت من الأوائل أيضًا علـــى دفعتها ولكنها هذه المرة قررت ألا يقف شـــيء في طريقها، وأن تعوض ما فاتها، كانت تنتهي من المحاضرات وتذهب لتساعد أمها في بيع الخضروات فقد تركا العربة الكارو، وفتحا

كشكًا صغيرًا بجوار المنزل لبيع الخضروات، وكان ربحه يكفي لتغطية احتياجاتهم.

منذ أعوام مضت لم تر الرجل غريب الأطوار الذي كان يعطيها النقود لكنها لمحته هذه المرة في الجامعة، فوقفت لتسلم عليه؛ كان سعيدًا جدًّا وأخرج النقود من جيبه لكنها رفضت أخذها وأخبرته أنها الآن كبرت وما عادت صغيرة حتى تسعد بها ومضت في طريقها وهي تفكر في الرجل الغريب من يكون؟ وما هي قصته؟

في هذه الأثناء نادى عليها أحد زملائها: «نهار تعالي معي لك مفاجأة الأستاذ «**أحمد**» من أكبر المستثمرين، وقد سمع عن مشروعك ويريدك معه لأنه سيفتتح مشروعًا».

ابتسم «**أحمد**» قائلًا: «الحقيقة هو مشروع صغير، وأتمنى أن يكبر على يدك سمعت عنك الكثير، ولي الشرف إن وافقتِ».

فرحت «**نهار**» وأخبرته بموافقتها على العمل معه.

كل يوم كانا يجلسان سويًّا لدراسة المشروع، «**أحمد**» ذلك الشاب الذي يبدو عليه الجدية الشديدة ذو النظارات الطبية التي تظهر عينيه صغيرتين جدًّا من خلفهما، ودائمًا ما يسرح شعره على جنب من رؤيته يتضح لك أنه شاب جدي لا يعرف في الموضة إلا أن ملابسه مهندمة ومنسقة، وأكبر من عمره فهو في الخامسة والعشرين ومن يراه يعتقد أنه في الخامسة والثلاثين.. كانا كل يوم يقضيان الساعات الطوال في العمل على المشروع إلى أن لمحته وهو ينظر إليها نظرات غريبة تركت القلم وبادلته بنظرة تعجب وقالت: «الحقيقة أرى أنك كثيرًا ما ترمقني بهذه النظرات».

تلعثم قليلًا وهو يحاول الرد عليها: «أنا.. حقًّا لا أعلم ماذا أقول ولكن.. في الواقع أنا.. معجب بك».

ضحكــت وقالت: «من الأفضل لــك ألا تعجب بي» وأكملت العمل. شعر بالإحراج وأمسك بالأوراق وأكمل عمله هو الآخر.

كان إعجابه بحماسها وذكائها يزيد يومًا تلو الآخر، أصبح يبحث عن أي ثغرة في العمل أو فكرة جديدة ليستطيع أن يراها، ويتحدث معها كانت هــي ذكية جدًّا بالطبع كانت تفهم كل نظراتــه وإيحاءاته إلا أنها كانت تفضل الابتعاد على جلب المشاكل ففتاة من قبيلة منبوذة سترى أبشــع أنواع الســب واللوم لو فكرت أن تتزوج من فتى مثله، لم يخف عليها أبدًا ما حدث للقلة من قريباتها ممن فكرن في التزاوج من خارج القبيلة، وحتى قبيلتها ترفض الاقتران بغيرها؛ فهي ترى أن الله لم يخلق أحدًا في جمال نسلهم، ومن الحماقة إهداره واختلاطه بأنساب أخرى أقل منهم جمالًا فتنهار وتتدهور أنسالهم؛ تفكير عقيم من كلا الطرفين ولكن هكذا كانت القوانين.

انتهــوا من العمل وكان المشــروع على وشــك الخروج للنور عندما كانت تفكر في مصيرها وكيف عليها أن يفرض عليها الزواج من شــخص بعينه دون أن تختار هي زوجها، مجرد أفكار عشوائية جالت بخاطرها ودون النظر كانت هناك ســيارة مارة مســرعة وهو واقف من بعيد يراقبها بعيني المحب كعادته حين أسرعت السيارة ناحيتها وكادت أن تعصف بها، فدفعها بعيدًا وكانت قدمه قرب الســيارة وارتطمت بها وكسرتها في الحال.

في هذه اللحظة لم تتمالك مشــاعرها لقد فداها بنفسه فهرولت ناحيته وهي تصرخ وتبكي، كان الألم يمزقه لكنه كاد يبكي فرحًا حينما

وجدها تظهر هذه المشـاعر التي لطالما تمناهـا منها، بالطبع وضع له الطبيب جبيرة وأخبـره ألا يتحرك، فكان عليها أن تأتي لزيارته لإكمال المشـروع، كانت أمه ترحب بها في بادئ الأمر مثل الأفلام يتكأ على الحيطان حتى يصل إلـى غرفة العمل تلك الغرفة الفسـيحة المتصلة بالردهة الطويلة بمنزله.

كانـت هي خجولـة جدًّا تكتفـي بإكمال الأعمـال ثم تهرول مسـرعة من الخجل، وأحيانًا كانـت تصحب معهـا صديقتها والتي ضجرت منها كثيرًا، واسـتوقفتها ذات مرة وقالـت في حدة: «لا أرى منك إلا الجحود..! لم أعهد عليك هـذا، ما بال الفتى متيم بك وأنت بلا قلب هكذا؟!»

ابتسمت في صمت: «لا تعلمين عماذا تتحدثين فلنغير الحديث فإنه لن يجدي نفعًا».

فـي المرة التالية ذهبت بمفردها وكانـت أمه واقفة على الباب ممسكة بمقبض الباب وواقفة أمامه وكأنها ترفض دخولها ونظرت لها في غيظ وقالـت: «لم ألحظ من أنت من البداية إلا عندما أحسسـت بحب ابني، وكان عليّ أن أعرف من أنت» وهي تغمز لها بعينيها وكأنها تحقر من شأنها. فأحست «**نهار**» بالإحراج الشديد وأسرعت بالذهاب من أمامها، كان «**أحمد**» في آخر الردهة عندما سـمع حديثهما ووجد معاملة والدته لها، فاسـتند على الجدران مسـرعًا وهو ينادي عليها، نهرته والدته وهي تنظر لها في غيـظ: «ارجع هنا، لن تتزوج من قبيلة النهـاودة أبدًا، على جثتي «فنظر لوالدته في حـزن: «إذن فلتكن على جثتي أنا يا أمي».

نزل على السلالم مسرعًا وهو يحاول اللحاق بها وعيناها قد أغرورقت بالدموع في محاولة منها لتلاشيه لكنه تعثر ووقع من الجري فقدم واحدة لن تحمله، أسرعت ناحيته وهي تحاول أن تساعده على الوقوف حين نظر إلى عينيها: «أنا أعلم من أنت منذ رأيتك، لا يهمني من تكونين فأنا متيم بك حد الجنون» كانت تسمعه وهي صامته تلاقت عيناهما للمرة الأولى دون أن تتحاشاها هي، وكأن العالم قد توقف في تلك اللحظة، وكأن الدنيا قد أصبحت بكل ما تحمل في طياتها من آلام وأفراح بين عينيهما.

وقف وقد ساعدته وهو ما يزال ينظر إلى عينيها: «لا أعلم سوى أنني أحبك.. ولا أعلم سوى أنني لا أستطيع البعد عنك».

حاولت أن تبتسم له لكن دموعها سبقتها: «ستكون حربًا وليست حبًّا.. ما نحن فيه سيقودنا إلى الهلاك».

أمسك بيدها: «سأتبعك إلى نهاية الكون».

في منزل «**نهار**» المتواضع الكل صامت لا يتحدث الأم تبكي: «يا بني ما تريده هو نهاية ابنتي التي استمت في تربيتها لا أقوى على محاربة أهلك بمفردي».

اقترب منها وقبل رأسها: «اسمعي يا أمي أنت من الآن أم لي وليس لـ«**نهار**» فقط، أنا لست جاهلًا حتى أتبع عادات وتقاليد حمقاء دمرتنا، كل ما أعرفه الآن أنني أحب ابنتك وستتزوج رغمًا عن أنوف الكل».

استطاع أن يستأجر منزلًا صغيرًا في المدينة وتزوجا.. لم تر «**نهار**» حبًّا مثلما وجدته مع «**أحمد**» كأنه قد أخذ بيدها إلى الجنة

بضعة أشــهر، وكانا في انتظار مولودهما الأول، كانت متحمسة جدًّا، و«**أحمد**» جلب معه بلحًا ليحنك الرضيع ويقرأ في أذنيه الأذان بدأ مع طفلته بالسنة الصحيحة منذ البداية.. فتاة جميلة تشبه أمها كثيرًا وتمتلك بشــرة والدها الخمرية اللون، لقد كانت تلك الصغيــرة امتزاج لحبها وتكليل له، دخلت الممرضة وهي تحمل ورقة لاصقة وسألتهما: «ماذا سيكون اسم الصغيرة؟».

نظر «**أحمد**» إلى زوجته سائلًا: «ماذا سنسميها؟».

ابتسمت «**نهار**» وقالت: «فلنسميها نورًا..».

كتبت الممرضة على الشريط اللاصق اسم الطفلة ولصقته بيدها وانصرفت.

كانت في الغرفة المجاورة لها سيدة وضعت معها في نفس اليوم كان حمام غرفتها سـيئًا للغاية فالمشفى الحكومي ورغم دفعهم لنقود زيادة للنزول في قسـم الدرجة الأولى إلا أنه ليس بالدرجة الكافية من الخدمــات التي توجد في مدن القاهرة الكبــرى، فالمدينة في الصعيد لا تتســاوى مع إحدى زوايا القاهرة حتي طلبت مــن «**نهار**» أن تضع طفلتها بجوارهــا حتى تدخل حمام غرفة «**نهــار**»، والذي كان أفضل من حمامها بكثير، فناولتها الطفلة ووضعت «**نهار**» طفلتها في سريرها وقامت بتغطيتها فالجــو بارد حتى كادت الطفلة أن تختفي في الأغطية الكثيرة ووضعت طفلة السيدة بجوارها.

في الوقت الذي سمع فيه أصوات صراخ وطلقات نارية وما أن انتبهوا للصوت حتى دخل على غرفتهم بالمشـفى رجال كثر يحملون في أيديهم بنادق قديمة الصنع، ويرتدون جلابيب بيضاء اللون جميعهم

توسطهم رجل أمسك بفوهة البندقية في وجه «**أحمد**» قائلًا: «لم يولد من يلطخ رؤوسنا بالتراب» وانهالوا جميعًا على «**نهار**» و«**أحمد**» وحتى الطفلة التي بجوارهما لم تسلم منهم، وهرولوا مسرعين إلى خارج المشفى.

خرجت السيدة من الحمام وهي تصرخ لقد قتلت طفلتها ضربًا بالرصاص طفلة مسكينة لا ذنب لها سوى أنها جاءت بها أمها بالصدفة هنا في هذا التوقيت الخاطئ، أم «**نهار**» جاءتها طلقة طائشة في ذراعها أما «**نهار**» و«**أحمد**» فقد كانت دماؤهم في كل مكان وهو يحتضنها وظهره كان عبارة عن فوهات مفتوحة من الرصاص والتي اخترقت جسده لتستقر في جسد «**نهار**» ووالدتها؛ تلك المسكينة التي صمدت طيلة هذا العمر لترى مشهد مقتل ابنتها أمام عينها، رفعت ذراعها المصابة والتي لم تستطع تحريكها وهي تصرخ وتولول لا تعلم هل تحلم أم أن هذا حقيقة.

ولكن ما حدث حقيقي جدًّا، فقد اعتادت القبائل المسلحة بالصعيد على اختراق أي مكان كان، وفعل ما يشاءون وخاصةً الحروب القبلية والتي لا نهاية لها عندهم.

في تلك الأثناء دخل الرجل الغريب والذي لطالما كانت تراه «**نهار**»، ووجد هذا المشهد أمامه ارتمى على الأرض وهو يعض على يديه من الحسرة وأم «**نهار**» صرخت في وجهه: «جئت الآن أيها النذل الأحمق! جئت الآن.. فلتنظر إلى دماء ابنتك إذن فلتتحسر، لن تعرف أنك والدها حتى، تبًّا لك ولهم تبًّا لك ولهم» ظلت تكرر الكلمات وهي منهارة جدًّا دخل الممرضات مسرعين وأمسكوا بالأم التي انهارت

والســيدة التي أغشي عليها من مشهد طفلتها المقتولة بدون ذنب، الكل كان مشغولًا في محاولة حمل الجثث خارج الغرفة، لم يلحظوا الطفلة المغطاة في الســرير الصغير والتي لم يلحظهــا إلا والد «**نهار**»، قام من مكانه كأنه مخدر وقام بحمل الطفلة وهو يمشــي وكأنه مســه الشيطان لا يقــوى على الكلام والطفلة تبكي، حــاول تهدئتها إلى أن وصل إلى القرية مســافة نصف ســاعة من المدينة ليس إلا، وقــف في منتصف الشارع وحمل الطفلة إلى أعلى وأخذ يصرخ: «فلتشهدوا أيها النهاودة، فلتشــهدوا أيها الدهاشنة، فلتشــهد قبيلتي الثالثة النجادوة أنكم حمقى جميعًا، إن هذه الطفلة مزيج من ثلاثتكم لقد كانت «**نهار**» ابنتي تزوجتُ وأمها ســرًّا خوفًا من بطشــكم، ولكني خفت على مكانتي واســمي، وارتضيــت أن تعيش ابنتي يتيمة ومنبوذة بعيدًا عن حضن والدها لكنني أحمق مثلكم، فلتعلموا جميعًا أن الطفلة الصغيرة التي أحملها في يدي ابنتكم جميعًا، هي مزيج من دمائكم، والدها دهاشــنة، ووالدتها مزيج من النهاودة والنجاودة.. فلتقتلوها إذن، هيا أروني ما الذي ســتفعلون أروني أســلحتكم الحمقاء.. أنا أفقت بعد فوات الأوان.. يا كل القبائل هنا أنا أبرأ إلى الله منكم من أفعالكم المشينة سحقًا لكم جميعًا».

الكل كان ينظر كأنه أمام مسرحية غريبة، ولكن الأغرب أنهم لم يحركوا ســاكنًا وانصرفوا من أمامه.. رجع والد «**نهار**» إلى أمها وقبّل قدميها ليربي حفيدتهم والتي كانت بمثابة بداية جديدة ليكفر عما فعله مع أمها.

انتهت

ممنوع هنا..

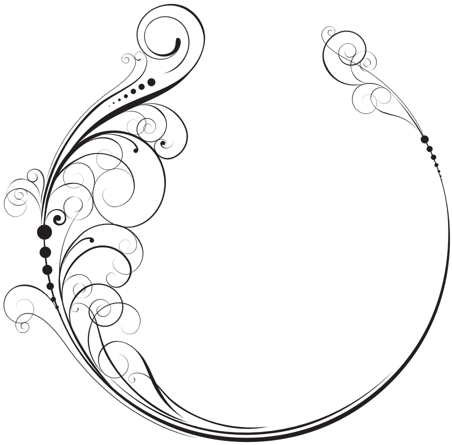

صوت صمت حالك يسود المكان، سيدات من مختلف الأعمار يلتحفن بالسواد يوارون وجوههن بخمارهن الأسود، تهمس كلٌّ منهن في أذن الأخرى وهى تتلفت يمينًا ويسارًا خوفًا من أن يراها أحد.. سيدة يبدو عليها علامات القوة والغلظة واقفة أمام حجرة وعيناها جاحظتان، ترفـع حاجبها في تحدٍ، وتلقي بنظرة داخل الغرفـة التي أمامها، وتارة أخرى إلى النسوة اللاتى يرتدين السواد ويفترشن الأرض أمامها، وكل منهن لا تنظر في عينيها خوفًا ربما أو شيء آخر غير معلوم.

يخرج من الغرفة طبيب مسـرعًا ممسـكًا بيـده بعض الأوراق يكتب بعض الكلمات السـريعة ويعطي السيدة الورقة ويخرج مسرعًا، تحملق السيدة في بعض الرجال الذين أعقبوا خروج الطبيب بدخولهم الحجرة تبتسـم السـيدة وتخرج منها زغـرودة وتحملق في النسـاء الجالسـات اللاتى يقفن بدورهن ويعقبنها بنفس الزغرودة ويصطفون صفين مقابلين لبعض.. الباب مفتوح على مصرعيه تجلس فتاة صغيرة في السن تبدو في الخامسة عشر من عمرها تتوارى خلف حائط المنزل تختلس النظر وعيناهـا مغرورقة بالدموع؛ تعض على يدها قهرًا وباليد الأخرى تمسـك حفنة من التـراب كأنها تحتضنها ثم تسـرح وتتذكر ما كان.

مشـهد كأنه فيلم يعاد في عقلها، وتتذكر كيف وصل الحال إلى هذه اللحظة المشئومة..

صــورة لفتيات صغيرات يلعبن بعض الأحجار لعبة في الصعيد تسمى (الحجلة) تخرج بعض السيدات وتنهرهن وتأمرهن بفض اللعبة اعتقادًا منهن أنها تجلب ســوء الطالع: «أوقفن اللعب أيتها المجرمات ستملأن بيوتنا بالفقر والمرض».

وتأتى بجرة مليئة بالماء وتلقي بها فوق اللعبة والأحجار فينفض عنها الأطفال ويبحثن عن مكان جديــد غير مباليات بالتهديد والوعيد لهن.. تنادي إحداهن «**صفاء**.. **كريمة**.. احضرن ســريعًا وجدت مكانًا واسعًا خلف دار أم مرزوق؛ به فسحة لا تطل على باب ولا شباك خلفة نستطيع اللعب دون أن يشعر بنا تلك النسوة.. هيا هيا».

تجري الفتيات في ســعادة ويكملن اللعب.. يقبل عليهن رجل أعرج يتكأ على عكازه وينادي: «**بهية** يريدك والدك.. اذهبي كفى لعبًا، و«**صفــاء**» و«**كريمة**» تريدكن عمتكم الآن أيضًــا كلنا في منزلها هناك مفاجأة».

تجري الفتيات بســرعة على منزل العمة «**حسنة**».. نفس السيدة الغليظة ولكن أصغر سنًّا بقليل ترص أمامها أحجار فوق الشيشة وتلقي بالدخان في وجههن والرجل الأعرج واقف لا ينطق، تتحدث ويخرج منها الدخان في كل مكان، وتظهر بعض أسنانها الفضية والتي يبدو أنها استبدلتها بأسنانها الحقيقية.

تتكأ على وسادة بجوارها: «كم عمركن الآن أيتها الفتيات؟».

تنظر الفتيات إليها نظرات تعجب ومــن ثم ينظرن إلى بعضهن ببعــض ويضعن أعينهن صــوب الأرض.. في نظرات عــدم المعرفة بأعمارهــن يقاطع كلامها الرجل الأعرج يبــدو عليه المرض: «ابنتاي

يا كبيرة العائلة كما تعلمين قد ولـــدت «**كريمة**» الكبرى في يوم زفاف «**حسونة**» ابن العم منذ تســعة أعوام والصغرى «**صفاء**» بعدها ببضعة أشـــهر.. لقد كانت أمهم في عجالة تعتقد أنها ســتنجب الولد، ولكن حدث ما حدث من مرضها والنزيف كما تعلمين وأصبحت لا تنجب».

تنظر له العمة «**حســنة**» نظرات خبث وتبتسم في إشارة منها إلى الحادث الذى تعرض له وفقد به رجولته وقدمه معاها، وهو يلقي باللوم في موضوع الخلفة على الزوجة حتى لا يخدش رجولته في شيء.

ولكــن نظراتها الخبيثة لــه تذكره بأنها على معرفــة بما هو فيه فيحاول أن يتحاشــى العار الــذي ألم به كما يصفه في نفســه ويكمل حديثه: «وأنت تعلمين يا كبيرتنا مــدى ضيق الحال.. وأعلم أن قلبك كبير مثل مكانتك.. ستساعدينا أليس كذلك؟».

تنفخ فــي وجهه الدخان الخارج من شيشــتها وترفع حاجبيها: «ســتعمل الفتاتان فــي إحدى الفنادق الســياحية، يريــدون خادمات لتنظيف الغرف».

يتكأ على عصاه ويهرول ناحيتها ويقبل يدها: «أطال الله عمرك يا كبيرتنا..».

في اليوم التالى تذهب «**حسنة**» ومعها الفتاتان إلى أحد الفنادق السياحية بأســوان فهم من أحد مراكز أسوان قرية صغيرة على أطراف المدينة العريقة.. منظر الفتاتين وهما ينظران إلى الشــوارع والأضواء الصاخبة وصولًا إلى الفندق ذي الخمس نجوم والذي يطل على النهر مباشرةً كان كفيلًا أن يعطيهن تعجبًا شديدًا فالأعين لا تصدق ما تراه من ترف ونعيم إلى جانب الفم الذي لم يغلق من الانبهار بكل ما حولهما..

عالم آخر.. عالم ســـاحر بعيدًا كل البعد عــن حياتهما في القرية والتي لا يعرفان فيها غير الأحجار والتراب.

تمر أعوام على مكوث الفتاتين في الفندق كعاملات نظافة وأعقبهم بفترة لحاق «**بهيــة**» صديقتهن كعاملة أيضًا، بدأت لكنتهم تتغير عن لكنة القرية حتى تعاملاتهن أصبحت أكثر رقيًّا، ملابسهن كانت تبهر كل من في قريتهن عندما يجئن لزيارتهن في الأعياد والمناسبات والأجازات.

عمرهن الآن مقارب من بعضهن بين الخامســة عشر والسادسة عشر، علامات الأنوثة بدأت تكسوهن كثلوج الشتاء في الدول الغربية التي عشــن مع أهلها في الفندق كثيرًا.. حتى ارتباطهن بمن فيه من أول العمال حتى صاحب الفندق؛ كن محبوبات بشــدة، بريئات جميلات وعليهــن عفوية وطيبة قلــب، حتى أن زوجة صاحــب الفندق كانت تعتبرهــن من بناتها فلها فتاة واحدة مدللــة وهن كن صديقاتها يرتدين بقايا ملابســها، والتي لم تكن بالية بالمرة ففتاة مدللة كهذه كان ارتداء الملابس رفاهية لها فربما ترتديها مرة ثم تمل منها.

كانت هناك أيضا الســيدة «**ماجى ماجوير**» صديقة الفندق؛ التي لا تفوت عامًــا إلا وقضته في مصــر، كانت تأتــي بالهدايا والألعاب للفتيــات وكن الأقرب إلى قلبها من أي مــن كان في الفندق حتى أنها كانت تدفع لمدرس - طلبته بنفســها - مقابلًا شهريًّا لتعليمهن وكانت تعدهن بأن تأخذهم معها إلى بلدتها في لوس أنجلوس عندما يســمح سنهن القانوني بذلك.

كانت «**صفاء**» تلــك الجميلة التي تحمل في نظر كل الســياح ملامح الفراعنة الأصيلة؛ بشــرة خمرية، وعيون ســوداء واسعة كأنها

مرسومة على لوحات فنية، جمالها كان أخاذًا إلى حد كبير على عكس «**كريمـــة**» و«**بهية**» اللاتى كانت بشـــرتهن فاتحـــة وملامحهن كجمال الفلاحـــات المصريـــات الصـــارخ؛ إلا أن الملامـــح الفرعونية كانت الرابحة هنا.

السيدة «**ماجي**» تلك البدينة العجوز والتي كان لديها ولد واحد بالتبنى يدعى «**إيزاك**» كان شـــديد التعلـــق بـ«**صفاء**» وربما هو من كان يدفعها للمجيء إلى مصر باســـتمرار هكذا.. ربما لأنه أحب المصرية الجميلة «**صفاء**».

كانت «**صفاء**» قد أتقنت اللغة الإنجليزية، فبقاؤها بجوارهم في سن صغيرة جعلها تتقن اللغة بجانب المدرس الذى كان يأتي لتعليمهن على نفقة الســـيدة «**ماجي**»؛ كان بمثابة المركب التي أوصلتهم إلى البر الآخر من الدنيا.

كانت ليلة رأس الســـنة من المفترض أنه الموعد الرســـمي كما اعتادوا على مجيء «**إيزاك**» و«**ماجي**» للاحتفال والبقاء فترة الشتاء هنا في مصر، ثم تعاود الكرة مرة أخرى في شـــهر يوليه ولكن لفترة أقل من السابقة.

على باب الفندق «**إيزاك**» مسرعًا يرفع برأسه، ويبحث بعينه بين المارة من العاملين في الفندق والســـياح الآخرين القادمين.. من بعيد فتاة تبحث هـــي الأخرى، يجريان في طريق طويـــل بالفندق في آخره نافورة تزين المكان، يقفا في مكانهمـــا وينظر كل منهما إلى الآخر في لهفة وشـــغف.. هل تغيرت الملامح هل نسى وأحب غيري.. خواطر مشتركة بينهما، تعض على شفتيها ثم تنظر إلى الأسفل في خجل يبدو

أنه يعشقها هو الآخر ثم تجري إلى آخر الفندق وتقف أمام نهر النيل ثم تنظر خلفها.. كان هو واقفًا فقد تبعها ثم التف ليقف بجوارها:

«أما تعلمين أني أفتقدك بشـــدة؟.. ثـــم ألا تتركين تلك العادات والتقاليد البالية وتجعليني أحتضنك مرة واحدة؟».

تدفعه بعيدًا وتضحك: «صمتا «**إيــزاك**» أجننت؟!.. ممنوع هنا ما تتمناه؛ لسنا في أمريكا أيها الشاب».

يتنهد في غيظ: «حســـنًا حســـنًا أراك الليلة في الحفل أم ممنوع أيضًا..؟».

تبتسم: «لا يحق لي حضورها، تعلم من أنا ومن أنت».

يجرها ناحيته: «اســـمعيني أيتها المصرية - التي أعشـــقها حد الجنون - لا يهمني من تكونين، فقط أنت سفاء معشوقتي».

تضحـــك: «حقًّا لم تتعلـــم نطقها جيدًا.. مـــا زلت تنطق حرف الصاد سينًا».

يتواعدان علـــى اللقاء، ثم تجري «**صفـــاء**» لتكمل عملها حتى تســـتطيع أن توفر وقتًا للحفلة، هي الآن تستطيع القراءة والكتابة جيدًا، فقد تم ترقيتها لتمسك رئيســـة العاملات بالفندق.. بعد يوم منهك من العمل تخرج من دولابها فستانًا أسود اللون قصير به لمعة رقيقة تحاول أن ترتديه، ثم تلتفت يمينًا ويسارًا خوفًا من أن يراها أحد، ويشي بها إلى عمتها اللئيمة فيكون عقابها شديدًا.

يـــرن هاتفها؛ إنه «**إيزاك**» تترد في الرد على الهاتف فكيف تخبره أنها ممنوع عليها لبس هذا الفستان الجميل حتى، من أي عالم هي حتى يُمنع فيه الحب.. فى هذه الأثناء تدخل «**كريمة**» مرتدية فستان يكشف

مفاتنها، وتسدل شعرها بطريقة ملفتة وتضع أدوات تبرج تجعلها تبدو كالنساء في السينما؛ صعقت «**صفاء**» وسألتها في تعجب: «أيتها المجنونة ألا تخافين أن يراكِ أحدًا من العمال فيشي بك إلى العمة في القرية أو أحد أفرادها؟ تعلمين كيف سيكون مصيرك».

تقف «**كريمة**» أمام المرأة تتغزل في جمالها، وتمسك جسدها المشدود وهى تضحك: «لا يهمنى تلك العجوز الخرفاء، أنا أملك جمالًا أخاذًا، ألا ترين؟ كيف لي أن أداريه.. ثم لا أريد أن أسمع تلميحاتك السخيفة حول أننى أصبحت أفكر بعقلية الأجانب، ألا تحبين ذلك الأجنبي «**إيزاك**»؟ لما أذن تلومينني؟».

لحظة صمت تأخذ بـ«**صفاء**» كلام «**كريمة**» حقيقة أنها بالطبع تحبه.. إلى أي مصير سيؤول هذا الحب؟ كيف له أن يكتمل؟ تخرج الفستان من دولابها وتلقي به على الأرض، ثم ترتمي في أحضان سريرها وتجهش بالبكاء.

لم يتوقف هاتفها عن الرن، وكانت «**كريمة**» قد غادرت الغرفة ثم على باب غرفتها يدق أحد ما.. تفيق من بكائها وتحاول مسح دموعها: «من بالباب؟».

«أنا «**إيزاك**»، أين أنت؟».

تحتضن وسادتها وتحاول كتم دموعها: «أنا لست مستعدة، اذهب من فضلك».

«حسنًا سأذهب إلى بلدي ولن تريني مرة أخرى.. أعتقد أن مجيئي كان غير مرحب به».

تسمع خطوات أقدامه وهى تمضي في الطرقة الواسعة أمام غرفتها فتفتح الباب وتخرج مهرولة على غير هدى، وتلحق به ثم

ترتمي في أحضانه.. صمت غريب، يغمض «**إيزاك**» عيناه؛ ليستشعر اللحظة؛ إنها لحظة تساوي دهرًا كاملًا، وكأن العالم توقف وكأن سيمفونية شرقية امتزجت مع ألحان بيتهوفن الغربية؛ لتخرج موسيقى لم تُسمع من قبل.. يخفق لها القلب بشدة.

ثم تبتعد «**صفاء**» لتلتصق بالحائط في خوف مما قامت به؛ فيبادرها «**إيزاك**» ويمسك يدها: «اسمعي إلى متى سنظل كلانا يخبئ ما في قلبه؟ تعلمين جيدًا أني متيم بك، وأرى أنك كذلك.. سأفعل أي شيء لأكون معك، فقط أخبريني ما الذي عليَّ فعله؟».

تنظر إلى عيناه ثم تجاه الأرض: «في قريتنا لن يكون علينا في هذه السن إلا الزواج، وأخاف أن يزوجوني بغيرك».

يمسك برأسها ويرفع عينيها تجاه عينيه ويحدق بها: «إذن فليكن هذا الزوج أنا.. ألا تقبلين أن تكوني زوجتي؟».

تغرق عيناها بالدموع وهى تنظر إليه في سعادة ثم خوف: «وهل سيوافقون بك؟.. أنت أجنبي؟».

تُرجع رأسها إلى أحضانه مرة أخرى: «لا تخافي سأهتم أنا بهذا الأمر».

كان «**إيزاك**» قد أخذ معلومات كافية عن القرية التي جاءت منها «**صفاء**»، وأخذ معه مدير الفندق وبعض أصدقائه في السفارة المصرية، وقد علم أن عليه أن يتقدم لخطبتها كما هي العادات والتقاليد هناك فوافق، واستعدت هي في أبهى حلة لها، وانتظرت عريسها في قريتها ليأتي كما اتفقا؛ كان والدها قد عجزت قدماه في هذه السنين، وكانت حركته بطيئة جدًّا، ووالدتها تساعدها في تزيين المنزل احتفالًا بقدومهم.

على باب المنزل كانت العمة «**حسـنة**» تقف وهي تغمز بعينيها: «ما شـاء الله**!** أرى أنكم تجهزون لشـيء..**!** و«**صفاء**» تبدو كعروس تزينت**!** تُرى ما هناك؟».

والدة «**صفاء**» في عفوية شـديدة: «إنها «**صفاء**» سـيتم خطبتها اليوم، هناك عريس قادم لها».

استشاطت العمة غيظًا: «ومن ورائي هذا العريس**!**؟».

تبتسـم الأم في خوف منها: «كنا نزين المنـزل ليليق بك وبه.. يا كبيرتنا».

فتجلس العمة على الكنبة الكبيرة التي تتوسـط الصالة: «حسنًا سأنتظر من الآن».

بعد بضع ساعات.. جاء «**إيزاك**» ومن جلبهم معه، يبدأ أصدقاؤه المصريون في الحديث، والعمة في سـعادة تنظر لواحد منهم؛ شـاب قـوي البنية مصري أصيل كمـا في التلفاز فتقاطعهم: «وهذا الشـاب الوسيم هو العريس إذن».

يتحدث مدير الفندق: «عزيزتي السـيدة «**حسنة**» أعرف أننا بيننا تاريخ طويل من العمل سـويًّا، ولكني حقًّا أريـدك أن تتفهمي ما جئنا إليك به العريس ليس مصريًّا.. إنه هذا الشاب الأمريكي».

فتقف العمة في غضب: «أجنبي..**!**».

فيبادرها مديـر الفندق: «لـم تهتمي بكونه مسـلمًا أم لا**!** كل ما يهمك هو عاداتك وتقاليدك.. لم تتغيري يا «**حسنة**» أبدًا».

فتذهب إلـى الباب وتقوم بفتحه: «نعم عاداتنا وتقاليدنا شـيء متـوارث، وعلينا الحفاظ عليها، لن أوافق أبدًا على أن نعطي ابنتنا لهذا

الأحمق الأمريكي فلتصحبكم السلامة.. وانتظروا ستتزوج «**صفاء**» الأسبوع القادم من ابني «**وهبي**»».

تخرج «**صفاء**» وهي تصرخ من الغرفة: «قولي هذا إذن، ابنك.. نعم تريديني لابنك الذي لطالما حاول أن يتقدم لي وأنا أرفضه.. لن أتزوج ابنك أبدًا.. على جثتي».

تبادرها «**حسنة**» بصفعة على وجهها: «فليكن إذن».

يحاول «**إيزاك**» التدخل، فيمسكه مدير الفندق ويأخذ كل من معه إلى الخارج ويمضي في طريقه.

في الليل وهي تبكي ووالدها على فراش المرض لا حول له ولا قوة، وأمها تحاول أن تواسيها وتحتضنها يرن هاتفها الخلوي.. كان المتصل هو حبيبها «**إيزاك**»، تمسك بالهاتف بسرعة: ««**إيزاك**» أنا أموت لا أعلم ما الذي عليَّ فعله.. ماذا؟؟ اهرب أنا أنا.. لا أعلم لو عرفوا سيكون مصيرنا الهلاك أنا وأنت.. حسنًا حسنًا».

وأغلقت الهاتف، كان الاتفاق على أنه قُبيل الفجر سينتظرها في المطار؛ لقد جهز كل الأوراق بمساعدة أصدقائه في السفارة المصرية.. وقام بانتظارها على مقربة من القرية بسيارة أعطاها مواصفاتها.

وبالفعل تم ما اتفقا عليه، وجرت مسرعة نحو السيارة ودخلت، وأسرعت السيارة بهما نحو المطار.. قلبها يخفق بشدة يقربها ناحيته ليشعرها بالطمأنينة، ثم فجأة أصوات ضرب نار في كل مكان، وصراخ هناك رجلان من أمن المطار وقعا على الأرض يقف بعض الرجال بجلباب صعيدي، وفى يد كل واحد منهم بندقية قديمة تتقدمهم «**حسنة**» وهى تضحك: «تعلمين جيدًا أن كل قبائلنا مسلحة، ورغم

ذلك لم تخافي من العقاب.. أصبحت رؤوسنا في الوحل بسببك أيتها الملعونة! تريدين أن نتعاير بك في كل القبائل والله لن يكون أبدًا».

يصرخ «**إيزاك**» وهو يخبئها وراء ظهره: «أين الحكومة؟ فليتصل أحد بالشرطة».

تتعالى ضحكات «**حسنة**»: «حكومة.. تضحكني كثيرًا أيها الأجنبي الحكومة لن تمسنا، تعلم جيدًا أن قبائلنا مسلحة وهذه عاداتنا، ولن تحمي هذه الحمقاء لأنها تعلم جيدًا أن لنا قوانينا.. نحن من نقوم بوضعها».

ثم تنظر لرجلين من الرجال وتغمز لهم؛ فيلتفون حوله ويقومون بتكتيفه وتخليص «**صفاء**» من يده.. فى هذه اللحظة تحكم «**حسنة**» قبضتها على رقبة «**صفاء**»، وأسنانها الصناعية يخرج منها بريق يصنع انعكاسًا في الأضواء: «تعتقدين أن ابني وباء، وأننا حمقى حتى نرضى على أفعالك ولا نعلم بما تخططين».

فتنادي على رجلين آخرين فيقوما بتكتيف «**صفاء**» وتخرج من جيب جلبابها زجاجة صغيرة بها سائل لونه يميل إلى الأزرق وتنظر إلى «**إيزاك**»: «فلتنظر جيدًا أيها الأجنبي ما نفعله في فتياتنا اللاتى يخرجن عن طوعنا».

تقاوم «**صفاء**» وتصرخ، و«**إيزاك**» يحاول أن يفك نفسه من قبضتهم وباقي رجال القبيلة مسيطرين سيطرة تامة على كل أركان المطار، فتفتح فم «**صفاء**» عنوة وتلقي بما في الزجاجة في فمها حتى إنها حين حاولت أن تقاوم قام الرجلان بضربها، وتكسير السنتين الأماميتين حتى يجبراها على فتح فمها وما هي إلا لحظات كانت «**صفاء**» تصرخ وتتلوى وتقيء دمًا.. ثم لا شيء.

يصرخ «**إيزاك**» صراخًا هيستيريًّا حتى أن المخاط يخرج من أنفه دون وعي فيقوم أحد الرجلين الممسكين به بضربه على رأسه بظهر البندقية فيقع مغشيًّا عليه.

يحمل الرجلان الجثة إلى مسقط رأسها وعند الدخول إلى باب القرية قام النساء بالزغاريد انتصارًا لشرفهم.. وتدخل «**حسنة**» وهي رافعة رأسها إلى أن توضع في بيت «**حسنة**» الذي امتلأ بالنساء المرتديات السواد.. يخرج الطبيب من الحجرة وهو يرتعد وقد كتب تقرير الوفاة: «سكته قلبية».

تبتسم «**حسنة**» في انتصار شديد لرغبتها كعادتها، وتقف في الخارج «**بهية**» خلف الجدار تبكي وتعود إلى ذكرياتها مع «**صفاء**»، وكان الغد هو يوم زفاف «**بهية**» و«**كريمة**» رغمًا عنهما إلى من تقرره القبيلة لهما.. أما عن والد «**صفاء**» فقد أصيب بسكتة دماغية ومات بعد بضعة أيام.. وأصيبت أمها بحالة نفسية وتم إيداعها في إحدى المستشفيات الخاصة بالأمراض العقلية.. أما «**إيزاك**» فقد حملته والدته إلى بلده ولا يُعلم عنه شيء.

الهاتف

مشهد مهيب نساء متوشــحات بالسواد الكل في صمت رهيب لا تســمع إلا حسيسهن.. ســيدة تبدو في عقدها الخامس جالسة على ركن بعيد ومعها وعاء صغير به ماء، وعلى جانب من الحائط في المنزل الطيني الذي تقطن فيه حملته، وبدأت تســكب بعضًــا من الماء على التراب أمامهــا، وتصنع عجينة طينية ثم خلعت حجابها وبدأت تدعك الطين برأســها في صمت، عيناها جاحظتان وكأن الموت اقتلع الحياة منهما، وحين امتلأ رأســها بالطين جلســت فوق بقاياه وأرخت رأسها على الحائط وبدأت تدندن:

«وجانــي اليــوم أبكيك يــا بنيتي

يا حســرة الجلب عليكي يا ســتي

يــا زينــة الصبايــا والوبــا جاكي

خطفك منــي وفي القبــر حطاكي

بــــوبــــوبــــوبــــو»

ويقابلنها النسوة كلما قالت مقطع ختمنه معها بوبوبوبو.. هكذا تقام الشــعائر الجنائزية بالصعيد على الجانب الآخر نسوة كانت قائمة بينهن مشــادات كلامية علــى المتوفاة، فكل منهــن تحكي قصة غير الأخرى وتريد أن تكون قصتها هي الأصح، وفي الشد والجذب وقفت

سـيدة تبدو في العقد الثالث، تتحدث بصعوبـة ولكن كلامها مفهوم، قعيدة على كرسي متحرك قديم به عجل مصنوع من الخشب ويبدو أنه متهالك قالت في حزن: «سأقص عليكن الآن قصة الفتاة المتوفاة التي كانت وستظل أفضل منكن جميعًا».

منذ نعومة أظافرنا كنا أنا و«**زينب**» من أعز الأصدقاء حتى وصلنا للسـن التي تفرض علينا الزواج، كنت أنا حمقاء أرى نفسي جميلة في كل الأحوال، لا يهمني أحد، إن تطاول علي أي شخص أردها له الصاع صاعين، إلى أن تمت خطبتي قبلها؛ لم تحزن أبدًا، جاءت وسـاعدتني وكانت تغمرها السـعادة والنشـوة البالغة، ارتديت أنا فستانًا جلبته لي «**زينب**» هدية، وكنت أتمشـي في تباهٍ به إلـى أن وصلنا لباب الحارة لشراء مستلزمات الخطبة.

كان هؤلاء الشـباب بالطبع بدأت المعاكسات، وأنا لم أتمالك نفسـي فانهلت بالسب والشـتم على ذلك الفتى الملقب بـ «**عوض**»، ضحك عليه أبناء القرية وقالوا: إن فتاة بكلماتها أفحمته واسـتطاعت هزيمتـه.. فكان ما كان منه، وأنتم تعلمـون جيدًا أيتها الظالمات يا من شـهدتن الزور والبهتان أنـه انهال بعصاه علي حتى أصابني بالشـلل وعسـر الكلام، في هذه اللحظة الآخر الحقير الذي كنت خطيبته فسخ خطبتنا، كانت حادثتي بمثابة اللعنة التي حلت علي، صديقتي الحميمة «**زينب**» فقد كانـت رافضة للأحمق «**عزام**» زوجها كلما تقدم لخطبتها لأنها كانت لا تحبه وتشعر أنه بارد جدًّا، لكنها بعدما جرى لي ما جرى وافقت وقالت لي: «بارد حتى لا يؤذيني أفضل من الحمقي الآخرين».

تزوجته وأصرت أن أكون بجوارها على كرسـي العرس، الكل

سخر منها ساعتها، ونعتها بالجنون لكنها لم تبال أبدًا إلا بمشاعري، بعد العرس بأسبوع واحد جاءها خطاب من إحدى المصالح الحكومية أنه تم تعيينها بشهادتها الإعدادية بوظيفة كاتبة فرحت جدًّا، وجاءت تبشرني مسرعة؛ لأنها لطالما كانت كلما تسمع عن وظيفة تهرول لتقديم أوراقها.

أما عن «**عزام**» زوجها رفض تمامًا، وأجبرها على الاستقالة، بالطبع كما تعلمون ممنوع أن تعمل المرأة هنا؛ فهذا يقلل من ذكورية الرجال، بل ويجعل الرجل يتساوى بالأنثى وهذا من المستحيلات.

حزنت جدًّا؛ لأنه لو كانت قد أتتها الوظيفة قبل الزواج كانت لتفضل البقاء عانسًا على الزواج من رجال القرية المتسلطين، حاولت أن تتابع حياتها وأن ترضى بما قسمه الله لها ومرت الشهور وحملت في ابنها الأول، و«**عزام**» يعمل قليلًا من الوقت وباقي اليوم نائمًا، أو مع الرجال في قهوة البلدة كانت تتضور جوعًا، أحيانًا كانت تأتي بالدقيق وتصنع خبزًا وتجففه حتى لا يتلف، وحينما يكون البيت خاليا من الطعام تأتي بالخبز المجفف، وتضع عليه قطرات الماء فيبتل ويصبح لينًا وتأكل منه.

حياة بائسة جدًّا إلى أن جاء ابنها الثاني بدأت الحياة تسوء أكثر وأكثر، وكانت دائمًا ما تلومه على رفضه، ومع زيادة النفقات كان عليه أن يرضى بأن تعمل لتساعده في المنزل، بالطبع كانت الوظيفة قد ولت فلن تنتظرها؛ لذا ضاعت منها أجمل فرصة كانت من الممكن أن تحصل عليها بظروفها هذه. فقرر أن يتنازل ويجعلها تعمل معه في الإسكندرية؛ سيعمل حارسًا لإحدى العقارات هناك، فرحت جدًّا

لأنه أخيرًا سيعمل، وسيكون هناك عائد مادي تستطيع به أن تجد قوت يومها.

مـــا أن حطت أقدامها المدينة العامرة حتى أصبح عليها هي فقط كل الأحمال، عليها أن تعمل ليل نهار، وتقـــوم بأعماله هو أيضًا، كان يجلس ويضع كرسـيه أمام بــاب العمارة، ويضــع قدمًا فوق الأخرى ومـــا أن يناديه أحد السـكان حتى ينادي بدوره هو الآخــر عليها؛ كان يخاف أن يـــراه أحد من أقاربــه بالصدفة، وهو يقوم بكنس أو مســح العمــارة فكان يجعلها هي تقوم بكل مهامه؛ لأنه رجل والرجل لا يقوم بهــذه الأعمال التي تختص من الدرجة الأولى بهـــا المرأة، أما مهامها هي فملزمة بها، ولو حاولت أن تشتكي يُقال لها: «إنه رجل قومي أنت بمهامك، ولا تجعلي رأسك برأسه».

بدأت المشاكل تكثر وتكبر بينهما إلى أن أشفقت عليها سيدة من قاطني العمارة، وأعطتها مقابلًا ماديًّا مغريًا على أن تقوم بتنظيف شـــقتها وترتيبها، بالطبع رحبت بالفكرة جدًّا، وكانت هذه الحادثة أول المشوار.

كانت «**زينب**» أمينة ونظيفة جدًّا، بدأت تطلبها باقي الســيدات بالعمـــارة، وأيضًا تتناقل كل واحدة منهن اســمها؛ حتــى علا صيتها وأصبحت ذات سمعة حسنة بين النسوة بالمدينة؛ بدأت ترفع الأسعار، وأحوالها تتحســـن، اشــترت أثاثًا للغرفة التي تقطن بها، وملابس لها ولطفليها، ومرة في مرة تشتري ذهبًا، كانت هذه الأيام أسعد أيام حياتها كانت تتصل بي يوميًّا، وتحكي لي ما يدور معها، أما عن «**عزام**» فقد بدأ يعتمد اعتمادًا كليًّا عليها، وبدأ في شرب المخدرات والتي كان يتباهي رجال القرية الأغنياء بها كنوع من أنواع الترف والتعالي.

تعرفت علي سيدة عزباء في إحدى العمارات المجاورة، كانت مبهورة بجمال «**زينب**» وبجسدها الذي لم يظهر عليه علامات الحمل أو الولادة، وكيف سيظهر أي علامات وهي تقوم برياضة قاتلة وهي العمل المضني الذي تعمله، لاحظت «**زينب**» على هذه السيدة دخول رجال كثر في دارها فشكت في أمرها، وتركت العمل معها رغم أنها كانت تغدق عليها الأموال، ولكنها رفضت أن تبيع شرفها مقابل أي مبلغ كان.

في الصيف الماضي جاءت لزيارتنا في القرية كان يبدو عليها الترف، فملابسها أصبحت أجمل، وقامت بشراء هاتف جديد لي كان أجمل هدية حتى لا نفترق أبدًا، في هذه اللحظة كان زوجها بقهوة القرية يتباهى بأنه أصبح ميسور الحال، وكأنه هو صاحب الفضل كله فيما كان، وأعطى عنوانه لبعض أصدقائه لزيارته.

بالطبع «**شفيق**» أعز أصدقائه كان دائم الزيارة له منذ أن أخذ العنوان، لا أنسى أنها كانت دائمًا تشتكي منه؛ لكنها من أشرف النساء لم أر أشرف منها أيتها النساء الحمقاوات.. نظر لها النسوة وأخذن يتلمزن ويهمسن بكلمات غير مسموعة وتركنها وذهبن.

مرضت «**أم زينب**» كثيرًا بعد موتها لم تتحمل هول المصيبة، وكان منزلها بجوار منزل «**سالمة**» صديقة «**زينب**» القعيدة، والتي كانت تتكأ على كرسيها الخشبي القديم، وتذهب لتجلس مع والدة «**زينب**» بعد أن تخلى عنهم الجميع، وبعد أن أشيع عن موت «**زينب**» أنها قُتلت؛ لأنها كانت تسير في الحرام، هكذا بالضبط ما قيل عنها.

أما عن «**عزام**» فقد ترك الولدين وانغمس في إدمانه للكحول

والمخدرات، وكانت التربية على عاتق «**سالمة**» رغم أنها قعيدة، إلا أنها لم تتهاون لحظة واحدة في تربية الفتيين، وأصبحا يناديانها بـ«أمي».

كانت سنوية «**زينب**»، ومن المعتاد أن تُقام بعض الطقوس والشعائر في القرية في السنوية، وهي أن يأتي الزوج لزيارة أهل زوجته المتوفاة، ومعه بعض الخيرات هدية لهم، بالطبع «**عزام**» كان لا بد أن يأتي حتى يجمل ماء وجهه، ولكن خالي اليدين كعادته، «**سالمة**» كانت جالسة بجوار والدة «**زينب**»، والتي كانت تحتضر على فراش الموت، وكانت تنظر إلى «**عزام**» بخبث وتبتسم، تحركت بكرسيها ناحية الباب، وأخرجت الطفلين وأغلقته، وأوقفت كرسيها أمام الباب وهي جالسة على هيئتها؛ حتى نادت على «**شفيق**» صديقه وقالت في ثقة: «ها هو يا «**شفيق**»، من أخبرني عنك كل شيء»، دخل «**شفيق**» والذي كان في الغرفة الأخرى وقد أمرته ألا يخرج إلا عندما يأتي «**عزام**».. دخل وكأن النيران مشتعلة بكل ركن فيه وهو يصرخ في «**عزام**»: «أيها الخائن كيف وشيت بي وأنا من ساعدك؟».

في هذه اللحظة امتلأ وجه «**سالمة**» بعلامات السعادة وقالت: «وأنت يا «**شفيق**» لم تخبره بما فعلته مع زوجته.. زوجة صديقك الحميم، وكيف كنت تريد أن تراودها عن نفسها..!».

زحفت بكرسيها ووضعت سكينًا أمام «**عزام**»، وعادت به مرة أخرى أمام الباب لتسد مدخله.

في هذه اللحظة أمسك «**عزام**» بالسكين وهو ثائر وهجم على «**شفيق**» وأصبح الاثنان يقتتلان بعنف شديد وكلٌّ منهم يوجه اللوم والاتهام إلى الآخر؛ استطاع «**شفيق**» تخليص السكين منه ووجهها إلى خصمه وقال: «أما أنت من قال لي: أنك ستعايرك نساء القرية قبل

رجالها بعد أن عرف الجميـــع أن زوجتك هي من تقوم بإعالتك وأنك كالنساء، كان لا بد أن تتخلص منها لحفظ ماء وجهك وسرقة مدخراتها وما تملكة من ذهب؟».

انقض عليه الآخر في غيظ وأمســـك بالسكين وطعنه في جنبه: «كنت دائم الزن علي أن أتخلص منها خوفًا من فضيحتك أنت إذن».

هجم الآخر أيضًا، ورد له الطعنة وهكذا حتى ارتميا على الأرض غارقين في دمائهمـــا، و«**أم زينب**» على فرشـــتها تنظر بنصف وجهها الذي تســـتطيع تحريكه وفمها الذي أغلقه المرض تجبره على الابتسام عنوة، و«**سالمة**» اقتربت منهم بكرسيها ومعها الهاتف الذي أهدتها إياه «**زينب**» وقالت: «لقد سجلت كل شيء ســـتموت مفضوحًا يا «**عزام**» وأنت يا «**شفيق**»، أنا لا أشـــفق عليكما.. عليكما اللعنة» ويسقطا على وجهيهما وهما يحاولان النهوض ثم.. انقطع النفس وانتهى كل شيء.

تحركت بكرســـيها ناحية «**أم زينب**» ووضعت يدها على رأسها وقبلتها وقالت: «ارقدي الآن في ســـلام فبراءة «**زينب**» ســـيتحاكي بها كل أهل القرية والقرى المجاورة أيضًا.. الأحمق شـــفيق لم يعرف أن «**زينب**» كانت تحكي لي كل شيء».

يُقال: إن «**ســـالمة**» بعد دفـــن «**عزام**» و«**شـــفيق**» قامت بتأجير ســـماعات، وطافت بها البلـــدة كلها فوق عربة كارو لتســـمع الجميع التســـجيل، وقد طلبت من إحدى جاراتهـــا أن تضبط لها قدمها وتضع لها واحدة فوق الأخرى وهي رافعة رأسها وتنظر في تعال وفخر وتباه.

الهدية

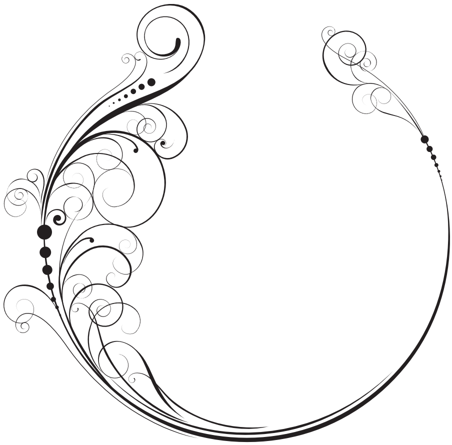

بعد مشــاورات بين العائلة وقع الاختيــار على «**هنية**»، وبدأت الخطة في التنفيذ بنجاح باهر.

تزوجــت «**عديلــة**» في ســن مبكــرة، وكانت لرجــل يدعى «**أبو المجد**»؛ كان ســكيرًا ولكنــه ذو منصب كبير فــي القرية، ورغم تاريخه غير المشرف من زواجه من بنات الناس بضعة أشهر وتطليقهن إلا أن أهلهــا رحبــوا به جدًّا كغيرهــم طمعًا في أن تكــون ابنتهم هي الرابحــة، ولكن كالعادة فعل ما فعله مع غيرهــا وتركها؛ كانت حاملًا وأهلها لا يملكون حتــى طعامها حتى يطعموا الطفــل القادم؛ بالطبع كان أول شيء هو محاولة إيجاد زوج لها وبسرعة عقب وضعها للطفل وهذا ما كان.

وأنجبت فتاة أســموها «**هنية**» كانت «**هنية**» كقصص السندريلا مثــل الخادمات، كانت تعمل لديهم بلقمتها، كما يُقال عليها أن تصحو قبل الكل، وأن تقوم بالتنظيف وعمل الأكل وغسل الملابس، وإطعام الحيوانــات، وتنظيف مكان نومها، «**هنية**» كانــت لا تحب إلا جدتها كانت الوحيدة التي تشفق عليها وتحبها جدًّا، أما عن والدها فقد تركها كمــا ترك غيرها من الإخوة والأخوات ربما وصل عددهم إلى ٢٠ أخًا وأختًا متفرقين في البلدان.

وعندما بلغت السن القانوني هناك - وهو السادسة عشر - كان عليها أن تتزوج، بالطبع لا يملكون نقــودًا لجهازها وحتى لو يملكون

ستكون النقود لأولادهم فهي مجرد خادمة وخاصة بعد أن تزوجت والدتها، وأنجبت خمسة أبناء آخرين، وكانت منشغلة في تربيتهم وزوجها فقير لا يقوي على إعالة فتاة ليست ابنته، «**الحاج فهيم**» رجل أوشك علي الستين ولديه أبناء كبار ويحتاج زوجة؛ لأن زوجته توفيت، وأيضًا هناك هذا السر الذي لا يعلمه إلا هو وأهل «**هنية**» فقط؛ فكان لا بد أن يقع الاختيار على الفتاة المسكينة للتزوج من هذا الكهل العجوز.

لما عرفت توسلت لهم وبكت كثيرًا، ولكن دون جدوى فالعبيد ليس لهم أي رأي، ليلة العرس كانت فخمة، رجل مثل «**فهيم**» لقطة، ومن أكابر البلد ونسب مشرف لهم، ثلاث ليال قبل ليلة العرس أفراح وذبائح لأهل البلدة من العريس؛ بالطبع لا بد أن يعلم الكل قدر ومكانة هذا الرجل الكبير.

انتهى العرس وكان لا بد أن يغلق الباب عليها مع زوجها؛ جلست تنتحب وتبكي وقالت له وهي تعتصر: «أرجوك يا عمي «**فهيم**» أنا أريد الذهاب إلي المنزل» ضحك وكأنه يستهتر بمشاعرها، وفتح أمامها دولاب الملابس وأخرج قميص نوم من قمصان زوجته القديمة ولكنه يحبه، وألقاه على وجهها وقال: «هيا ارتدي هذا وقومي بتمتيعي فالليلة ليلتي»، جرت من أمامه ودخلت الحجرة الأخرى وأغلقت الباب وهي تبكي: «لن افتح الباب، اغرب من وجهي».

جاء مسرعًا ووقف أمام باب الغرفة المغلقة وقال في حزم: «إن لم تخرجي الآن سأذهب لأهل البلدة وأقول: إنك لست عذراء، وتعلمين ما الذي سيحدث لك ساعتها».

ارتعبــت من كلماته، وهرولت وفتحت لــه الباب وأطاعت كل أوامره في صمت.

وفي الصباح رفع ســماعة الهاتف، وقام بالاتصال بشخص ما: «نعم يا شيخ زرزور.. جلبت لك ما طلبت مني».

بضع دقائق وعلا أصوات الصريخ أســفل منزل «**فهيم**» ونسوة تلطم وتشــق الجيوب وتبكي، جــرت «**هنية**» تنظر مــن النافذة وهي لا تعرف ما الذي يجري، جاء خالها ومعه «**الشيخ زرزور**» القائم بصنع الأعمال وفك الطلاسم والسحر لأهل البلدة، دخل خالها ولطمها على وجهها وقال: «وضعتِ رؤوسنا في الوحل أيتها العاهرة».

وقعت على الأرض وهي تبكي: «مــا الذي فعلته يا خالي.. لم أفعل شيئًا أقسم لك».

فنظــر لها في عبث وقــال: «لم يجدك زوجك عــذراء ما الذي فعلتِ من وراء ظهورنا، ومن هذا الكلب الذي فعل هذا معك»، وأخذ يجـرها من شعرها ويضرب فيهــا، و«**فهيم**» ينظر إلى «**زرزور**» ويغمـز ويبتســم.

قاموا بتكبيلهــا بالحبال، وجرها أمام أهــل القرية كلها، وكلما مرت بأحد بصق عليها، ولعنها، وسبها بأفظع الألقاب، وهي منهكة من الضرب، ولا ترى الناس إلا أشباحًا من الإعياء، لكنها لمحت والدتها تحتضن أطفالها الخمسة من بعيد، وتنظر لها ثم تضع رأسها في الأرض وكأنها غير مبالية بالمسكينة التي لا ذنب لها فيما يحدث، أو أنها تصدق أنها فعلت هذا ثم قالت في نفسها: من يهتم؟ لقد تركتني منذ الصغر هل ستهتم بي الآن؟

وقف خالها في منتصف القرية وقال بصوت عالٍ: «عارنا وسوف نغسله بأيدينا، فلتمضوا من هنا لسنا فرجة لكم! هيا اذهبوا هيا».

انفض الناس وكان الظلام قد غطى المكان، وفي منزل خالها كانت هناك غرفة اعتاد الحفر فيها وكانت مغلقة لسنين تم اقتياد «**هنية**» إليها، وكان هناك خمس رجال أقوياء يمسكون الجرافات والفؤوس واقفين في صمت منتظرين الأوامر، وما أن دخلوا الغرفة حتى ألقوا بـ«**هنية**» أمام الحفرة وهي تتحدث بصعوبة من الألم والإعياء قالت: «أنا لم أفعل مع أحد شيئًا يا خالي، أنت تعلم ذلك جيدًا، لقد كان هو أول شخص أكشف جسدي أمامه لأنه زوجي، لم يمسسني بشر من قبل، أقسم لك».

لكن لا أحد اهتم لحديثها، وكأنها تحدث نفسها بهذا الكلام، بدأ كلٌّ منهم يقوم بالخطة التي أعدوا لها كثيرًا، وفي انغماسهم بالحفر وحديث جانبي بين خالها و«**الشيخ زرزور**» جلس بجوارها «**فهيم**» وقال لها: «الحقيقة كلهم يعلمون أنك بريئة حتى خالك، والحقيقة أن ليلتنا البارحة كانت ممتعة جدًّا، ولكن لا تعلمين أنك كنز يا عزيزتي».

حاولت أن ترفع نظرها ناحيته وهي تتحدث بصعوبة: «ولما؟ ما الذي جنيته لكم؟ حتى يفعل بي هذا؟».

قال «**زرزور**» بصوت عال: «فلنجرب بعضًا من دمها الآن. امسكوها بقوة» وكانت قد استسلمت ولم تعد هناك قوة للمقاومة أمسكوها كذبيحة تُساق إلى نهايتها، اقترب ناحيتها ممسكًا بسكين صغير، فغمضت عينيها وتركته يجرح يدها جرحًا عميقًا، وما أن لامست دماؤها الحفرة التي بالأرض حتى بدأت تهتز اهتزازًا شديدًا

أوقع «**فهيم**» السكين من يده ووقع بجوارها، ومن استطاع أن يمسك بشيء تعلق به، ثم هدأ ما بداخلها.. ضحك «**فهيم**» ضحكة عالية جدًّا وقال: «يبدو أنها المطلوبة هنيئًا لنا.. فلنبدأ الآن».

بدأ الرجال بالحفر، وشيئًا فشيئًا بدأ الباب في الفتح.. باب عميق ما زُحزح بدمائها، وما أن فُتح حتى كان آخره سرداب طويل أمسكوا بها ونزلوا جميعًا ومعهم مصابيح للرؤيا، وجدوا أمامهم تابوت غريب الشكل لا يبدو فرعونيًّا.. شكله حتى لا يبدو آدميًّا قال الخال: «أسرعوا بذبحها حتى ينفتح هذا التابوت؛ هذه هي التعويذة التي أخبرنا بها «**زرزور**» ضحك «**زرزور**» بقوة وقال: «نعم نعم، أحسنت فلننجز هذه المهمة بسرعة وبعدها ستكون الملكة «**سيتباح**» تحت أمرنا».

ولكن يبدو أن القدر قد قرر شيئًا آخر. أفاقت «**هنية**» في مستشفى حكومي وأمامها ضابط يتحدث مع أمين شرطة واقف معه، وما أن رآها حتى نادى الطبيب: «لقد استعادت وعيها أيها الطبيب تعال بسرعة».

جلس الطبيب بجوارها؛ طبيب شاب مبتسم وقال في هدوء: «احك لي يا «**هنية**» ما الذي حدث هناك».

حاولت أن تتحسس نفسها وجدت أنها بخير تمامًا، ومكان الجرح الغائر الذي فعلوه بها موضوع عليه ضمادات طبية، تنفست ونظرت للطبيب وقالت: «هل ستصدقني؟».

ما زال مبتسمًا وقال: «لا تخافي سأصدقك؛ أنا كلي آذان صاغية».

بدأت تقص عليه ما حدث منذ البداية إلى أن وصلت للجزء الذي فيه التابوت: «التابوت أيها الطبيب، كنت مصابة بإعياء شديد،

ولكن خرج منه كائن غريب لا أدري ما هو، وبدأ يشـم كل الموجودين و«زرزور» يلقـي تعاويذ ويلقي عليه بعض الأعشـاب، فصرخ الكائن في وجهه وأمسـكه من رقبته الغريبة، إنه كان يتحدث لغة غير العربية، ولكنـي لا أعلم كيف كنت أفهمه، وبدأ هذا الشـيء في التهام رقابهم جميعًـا؛ كان يقضمها ثـم يبتلعها مرة واحدة، حـاول من رأى هذا أن يهـرب، ولكن له أذيال طويلة وممتدة إلى.. أنا لا أذكر إلى ماذا؛ كانت طويلة جدًّا وبدأ في الإمسـاك بهم واحدًا تلـو الآخر واقترب مني وأنا أرتعد بشدة؛ فقد كان يومي حافلًا بالقسوة، وقد اختتمت بهذا أحسست سـاعتها أنني في كلا الحالتين ميتة فلم أهتم، وتركت له نفسـي يفعل ما يشـاء بها، فاقترب مني وأخذ يلعق الدمـاء التي بالجرح وهمس لي في أذني: «ارقدي بسـلام يا «هنية»، تعلمين كانـوا يريدون الخلاص منـك بكل هذه الخطط، ولأن لا أحد سـيبحث عنك، لا يعلمون أنني وراءهم» فقلت له: «ومن أنت؟».

ابتعد ناحية التابوت ودخل فيه وقال: «لا تهتمي فقط عيشي في سلام».

وألقى علي شيئًا غريبًا لا أذكره ثم اختفى هو والتابوت.

تغيرت الابتسامة التي كانت على وجه الطبيب، وابتعد بالكرسي الجالـس عليه ثم نادى علـى الضابط.. وبدأوا فـي الهمس لبعضهما البعض، ثم تم نقل هنية إلى مستشفي الأمراض العقلية ولم يتم تصديق روايتها.

كان أهل البلدة في رعب شـديد بعد أن سـرب إليهم خبر قصة «هنية»، وهم يعلمون جيدًا أنها بريئة، فبدأت الروايات تحكي عنها أنها

مسحورة وهناك من قال: إنها ملتبسة بجان أنقذها مما حدث، وخاصة أن كل أهــل القرية قد صدقــوا رواية «**هنية**» بعد رؤيــة الرجال بدون رؤوس.

جاء قــرار الطبيب الشــرعي أن «**هنية**» كانت عــذراء إلى يوم دخلتها وبعد فترة خرجت من المستشفى، واكتشفت أنها حامل، كانت محط تقديس أهل القرية؛ الكل كان يخاف منها، ويقبل يديها كلما رآها ويبتعد، انغلقت على نفسها، وكانت هي الوريثة الوحيدة لـ«**فهيم**» بعد أن انجبت ابنهــا؛ لأن الخمس رجال الذين كانوا في الحفر، والذين تم قتلهم كانوا أبناء «**فهيم**» من زوجته الأولى.

بــدأت القرى المجاورة تتوافد عليهم لتأخــذ البركة من «**هنية**» التــي برأها الله وأعطاها كل ما يملكه «**فهيــم**» لتعيش في رغد العيش وســيدة القصر كما يُقال، بعد ولادة ابنها تعافت، ولكنها لم تشاهد أي شيء آخر وظلت قابعة في منزلها منغلقة على نفسها؛ لا تريد أن تحدث أو تكلــم أي أحد من القرية وكانت هدية الله لهــا هذا الطفل الجميل الذي كان كل دنيتها.

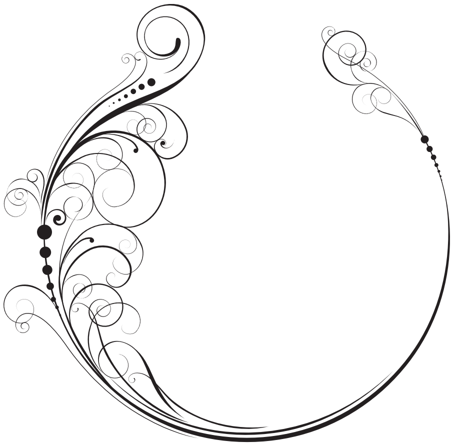

أحببت ابن عمي ولكن..

في صعيد مصــر حيث ممنوع على كل قبيلــة أن تتزوج إلا من نسلها.. ممنوع أن تحب؛ إن الحب خطيئة كبرى! ممنوع أن يكون هناك نبضات لهذه القلوب خارجًا عن نطاق قوانينهم الخاصة.

كانت هناك تلك الفتاة الجامحة التــي لا تكترث لهذه العادات والتقاليد البالية؛ التي لطالما رأتها أحمالًا فوق ظهرها؛ كانت تقاوم كل شــيء وما زالت تقاوم.. «**وصال**» لم تكن مجــرد فتاة عادية لا تعرف حتى من أين أتت بهذا التمرد الرهيب! يبدو أن قبيلتها تمتاز ببعض من الغلظة والقوة التي توارثتها عنهم.

لــم تكن غليظة أو قوية مثلهم؛ بل كانــت كل هذه القوة تتحول لديها إلى ثورة عارمة تجتــاح كل ما تراه حولها من قيود وُضعت لها.. كان عليها الزواج من ابن عمها او ابن خالتها تلك هي القوانين، وعليها أن تنصاع لهذه الأوامر وإلا ستكون هالكة.

قررت «**وصال**» أن تهــرب، حمقاء! ليس في الصعيد فتاة تفعل مثل هذه الفعلة الشــنعاء. كيف لها أن تفعل ذلك.. تحدد موعد عرسها على أحــد أبناء عمومتها من الأقــارب.. صاحت وصرخت ورفضت دون جدوى؛ لم يســتمع أحد إليها، لم تكن لهم سوى حمقاء لا تعرف شيئًا، نعم هي مجرد فتاة كيف لها أن تطول هامات الرجال وشواربهم، إنها نكرة لا شيء حتى يؤخذ برأيها.

توســلت إلى عمها، وركعت تحت أقدامه: «أرجوك يا عمى أنا لا أحبه».

غضب غضبة شديدة وصفعها على وجهها حتى سالت منه الدماء: «ومنذ متى لدينا من يقول حبًّا؟.. لقد خرب التعليم عقلك لا أعلم ماذا أفعل بك؟ ستدسين رؤوسنا في التراب.. اسمعي أيتها الحقيرة، أقسم برب السماء إن لم تتزوجي ما نريده ستكونين طعامًا للديدان! زواجك بعد شهر من الآن، سأعطيكِ مهلة كي تنهي عامك الدراسي، وبعدها ليس هناك ما يُقال».

تركها وخرج فجرت على والدتها: «أمي أرجوك ليس من الإسلام ما يفعلون بي! أليس هذا الزواج باطلًا؟! كيف لهم أن يغصبوني على هذا الجرم؟».

لم يكن بيد الأم المسكينة أي شيء إلا الصمت والبكاء، فمن تكون كي تخرج قرارت من رأسها.

دخلت «**وصال**» إلى غرفتها وأغلقت على نفسها الباب، وبينها وبين نفسها حان الآن موعد الهروب.. قرار غريب لم تفعلة فتاة مثلها من قبل، ستفضح عائلتها وتخرب حياتها، ولكن لم تستطع الرضوخ لأمرهم؛ إنها اللحظة الفارقة.

نعم، يمر قطار البضائع كل ليلة بجوار منزلهم؛ يقف بضع دقائق للتحميل ويمضى سريعًا.. لملمت بعض الملابس، وبعض النقود التي كانت تخبئها لهذه الليلة المشؤمة على حد تفكيرها.. وفي عتمة الليل ومن وراء جدار قديم في بلدتهم مقابل للسكة الحديدة اختبأت هناك، وكانت تلتفت يمينًا ويسارًا في رعب شديد، صوت القطار يقترب ويزداد مع اقترابه خفقان قلبها من شدة الخوف، وما أن وقف حتى جرت مسرعة نحوه، وألقت بنفسها في إحدى غرفه المظلمة، وهى

تلهث أنفاسـها بشدة.. انطلق القطار ووجدت شـابًّا يقف آخر العربة يشعل سيجارة ويلقى بعود الكبريت من النافذة.. هلعت وجرت ناحية البـاب ولكن القطار انطلق ليس هناك مجـال للخروج نظر لها وعيناه كلها ثقة وقوة: «لقد رأيتك وأنت تهربيـن إلى داخل العربة.. أنت من قبيلتنا ألست كذلك؟».

كانت ترتعد خوفًـا: «أرجوك لا تقتلني لا تفعل بي شـيئًا، هم أرادوا زواجي من شخص لا أحبه.. لم يكن بيدى حل آخر».

ألقى بسـيجارته بعيدًا ونظر لها في دهشة: «غريبة أنت! منذ متى لدينا هذه العقليات من الفتيات؟».

انفعلت: «أنتم مجرومين، اتركوني في حالي سـألقي بنفسـي من هـذا القطار ما عدت أحتمـل» جرى وراءها وأمسـك بها: «أيتها المجنونة أنت حقًّا مختلفة عن الأخريـات.. وجميلة أيضًا» كان ينظر إليها في شـغف: «لا تخافي سأساعدك.. فأنا لسـت مثلهم حتى أنني كنت سأهرب مثلما فعلتِ.. إذن فنحن متشابهان كلانا نفس العقل.. أنا أيضًا أرفض كل ما يحدث ولكن ليس بيدي حيلة.. أما أنت أعتقد أنهم سيقتلونك إن عرفوا.. اسمعي سأعيدك إلى المنزل ما زال الوقت مبكرًا يقف القطار على بعد ربع ساعة من الآن».

صرخت فيه: «لا لن أعود..».

أمسـك بيدها بقوة: «اسـمعيني جيدًا، إنهم أفظع مما تتخيلين، أنا أعرفهم جيدًا، أقسم أنهم سـيقتلونك.. عودي ولتفكري في حلول أخرى، ألم تحدثي العريس؟ أخبريه لعله يطلق سراحك».

اسـتهوتها الفكرة وأخذت لحظـة صمت ثم وافقـت عليها، وبالفعـل توقف القطار في محطـة قريبة، أخذا يمشـيان كلصين بين

الحقول وهو يتلفت في كل الاتجاهات خوفًا عليها من أن يمسها سوء، يخبئها خلف ظهره ويراقب الطريق بقوة كالصقر.. كانت هي تنظر له بإعجاب شديد، غيره كان سيفضح أمرها، لما هو متفتح هكذا؟ كيف يفهم ما أحس به.. ثم كيف أنه يساعدني أيضًا.

لحظات بينها وبينه كفيلة أن تعيد لها حياة قلبها الذي أطفاه الظلم.

عادت إلى بيتها وشكرته، أعطاها رقم هاتفه: «اسمعي أنا «**محمود**»، وهذا رقمي إن احتجتِ أي شيء راسليني.. أعدك أنني لن أتركك».

ياه على وقع هذه الكلمة على آذانها.. لقد وقعت في حبه؛ لقد حماني وساعدني بقوة لم يكترث لأي شيء، بل إنه قال: إنه سيحميها، باتت ليلتها وهي تتقلب وتتذكر كلماته، لم يعِ هو أنه من كانت تحلم به.. كان عليها في الصباح أن تركب القطار متجهة إلى أقرب محافظة، والتي بها كليتها لتكمل الشهر الباقي لها في الجامعة.

جلست بجوار النافذة وهي تتذكر كلماته، تمنت لو أنها رأته أمامها من جديد، ثم وجدت صوت وقف بجوارها: «صباح الخير يا بنت العم.. سعيد أننا في نفس القطار ثانية..».

اعترتها جميع أنواع الخجل، واحمرت وجنتاها، وارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة حتى لا يلحظها، ثم قالت: «هل تراقبني؟».

جلس بجوارها وهو يدخن سيجارته المعتادة: «أف! يبدو أنك لم تعرفي رجالًا من قبل، لما أنتِ متنمرة هكذا.. أليس هناك ولو كلمة شكر؟!».

ردت: «الحقيقة أنا أحمل لك جميلًا و..».

قاطعهـــا: «لا لا، تقولي هذا فلنتركنا من هـــذا الحديث.. أراك اليوم موردة وجميلة! هل ازداد جمالك من الليل إلى النهار».

«يبدو أنك تعرف نساء كثيرات! أراك جريئًا جدًّا ولا تكترث».

«نعم أكثر مما تتخيلين، ولكن لا أعرف هناك ما يجذبني إليك.. إنك مختلفة جدًّا أتعلمين؟ أنت أيضًا جريئة! ما فعلته لم يفعله أحد من قبل».

أخذا يتحدثان طيلة الوقت، كان هو يتحدث وكان خجلها يزيد، لا تعرف ما الذي يوقف لسانها، اعتادت أن تكون جريئة مجنونة، ولكن معه فراشة لم تخرج من خدرها بعد.

اســـتمر على هذا الحال أســـبوعًا كاملًا تراه كل يوم في القطار ويتحدثان سويا.. وفي ليلة وجدت رسالة منه، كانت ليلة الجمعة ولن تراه فيها.. فتحت الرسالة: «افتقدتك اليوم».

كاد قلبهـــا أن يطير، يا إلهي إنها تحبه.. نعم إنها تعشـــقه لا يهم من ســـيتزوج، لا يهم مع من ســـيكون، المهم أن تختلـــس من الزمان لحظات تكون معه فيها.. لم ترد على رســـالته ولكن في داخلها كانت تريد أن تكتب له أنا ضائعة بدونك، أنا أحبك جدًّا.. أنا أريدك جدًّا.. أنا لا أستطيع الحياة بدونك».

اليوم ســـيأتي خطيبها «**عماد**»، حانت اللحظة المنشـــودة التي كانت تنتظرها.. وما أن جاء حتى جلســـت بجواره: «اسمع يا «**عماد**»، أراك شابًّا رائعًا ولكن أنا.. أنا لا أحبك لا أجد نفسي معك».

«أتقولين هذا الكلام لتختبريني يا عزيزتي؟».

«لا، أنا لا أختبرك إنها الحقيقة، أنا لا أريدك».

«ماذا!؟ أجننتِ؟ ليس هناك من يرفضني أنا «**عماد**» ابن الأكابر» أمسك بمعصمها بشـــدة وهزها: «اسمعي جيدًا لن أحقق لك غرضك، فأنــا أحبك وأعلم أن ما فــي عقلك مجرد خرافات.. سأنســى قولك ولا أريد سماعه مرة أخرى».

أسرعت إلى حجرتها وأخذت تبكي، وأمسكت بهاتفها وبعثت برســالة لـ«**محمــود**»: «رفض.. طلبــت منه كما قلت لــي ورفض.. «**محمــود**» أنا أريد أن أراك قابلني عند قطــار البضائع كما في أول ليلة رأيتك فيها».

وبالفعل وجدته هناك.. كانت منهارة تبكي حاول تهدئتها وبادرها بأن احتضنها.. جزعت وألقت به بعيدًا: «ما الذي تفعله.. أجننت؟».

«حقًّا لا أعرف يا «**شيماء**»! لا أستطيع كبح جماح نفسي معك.. أتعلمين إن الكثير من الفتيات يطلبن منى ذلك.. لا أعرف لما أريده أنا منك».

«أتراني حقيرة مثل فتياتك يا «**محمود**»؟».

«أنت غريبة، لا، أقســم لك إننى كلما رأيتــك أريد أن أضعك بداخلي، لا أعلم كيف يأتيني هذا الشعور».

تركتــه وذهبت، وفي داخلها لا تريــد ألا تحتضنه فقط بل تريد ألا تخــرج من أحضانه، هو لا يعلم كيف أعادها من الموت، هو الحياة الآن بالنسبة لها.

في الصباح إلى الجامعــة ركب القطار وجلس في عربة مختلفة عنها.. كانت تنظر له من بعيد لعله يراها أو حتى يشعر بها، هو كان يعلم

جيدًا أنها تريده ولكن ذلــك الكبر الأحمق به لم يكترث لها، هل لأنها رفضت أن يلمسها أم ما الذي في عقله.

أرسلت إليه برسالة: «ألن تجلس بجواري اليوم؟».

رد: «لا، أنت طلبت أن أبتعد وها أنا أنفذ طلبك».

«أنت قاسٍ يا «**محمود**»».

نزلت من القطار وحاولت أن تتجاهله، كل يوم تراه يبقى بعيدًا.. ما كل هذا العناد أعليها كل مرة أن تطلب منه حبها؟ مر أسبوع آخر على عناده حتى أنها نست مأساة زواجها وكان كل همها هو، أغرقت وسادتها بالدموع حزنًا على فراقه.. ثم وجدت رسالة منه، وكأنها بعرض البحر وقد ألقى إليها طوق النجاة: «افتقدتك بشدة.. كيف حالك اليوم؟».

«وأنا أيضًا..».

«أخيرًا.. قلتِها».

«بداخلي أكثر من هذا ولكني أخاف الله».

«أنا أعتقد أن ميعاد عرسي في نفس يوم عرسك لقد حدده أهلي».

«وماذا سنفعل يا «**محمود**»؟».

«لا أعرف..».

«فلنهرب..».

«لا يا «**وصال**»، لن أجازف، سيقتلونك، إنهم وحوش.. اسمعي سأتحدث مع عمك غدًا وليكن ما يكون».

جرت مســرعة تحضر نفسها ســيأتي غدًا لبيت عمي، وبالطبع عمها كبير العائلة، والبيت يقطن الكل فيه، وهناك غرفة كبيرة لاستقبال

الضيوف.. حدد لها الساعة التي سيأتي فيها، أخذت ساعات أمام المرأة تتزين كما لم تتزين في حياتها مــن قبل، وجاء الموعد، كان كل كيانها ينتظر الباب أن يدق، وما أن سمعت صوت دقاته حتى خفق قلبها بشدة وجرت مسرعة على الباب لتفتحه.

دخل هو وجلس مع عمها وأغلقا الباب عليهما، وفجأة سمعت صوت عمها يتعالى: «قلت لك إن ابنتنا مخطوبة، هل أنت أصم تخطف فتاة عرســها بعد أسـبوع واحد، هيا يا بني فأبوك له مكانة عندي اخرج الآن..».

سمعت هذه الكلمات وسقطت على الأرض مغشيًّا عليها، فاقت وهى على ســريرها والكل يحدق بها ولا يعرف ما الذي ألم بها؛ كانت الدموع تتساقط من عينيها، أمها جالسة بجوارها: «لا تحزني يا حبيبتي، أتدرين أن عرس «**حبيبة**» ابنة «**الحاج مرزوق**» في نفس يوم عرســك؟ سيكون يومًا حافلًا لكلا العائلتين».

الموعد يقترب وهي لا تستطيع أن تتخيل نفسها مع رجل غيره، كيف بها أن يمتلك جســدها رجل لا تحبه، إنها تكره نظرته لها، غليظ أحمق لا يهتم لحب أو أي شيء، حاولت تغييره مرارًا دون جدوى.

اكتفت من «**محمود**» برسـائله لها، لا يهمها أي شيء آخر سوى أن ترى أنفاســه، كان موعد العرس غدًا و«**محمــود**» قطع كلامه معها حتــى أن ردوده في الرســائل أصبحت باردة لا تــدري هل يفعل هذا لتكرهه حتى تسـتطيع أن تكمل حياتها.. إنه باسـتمرار يخبرها أنه منذ دخولــه لحياتها خربها، غبي يا «**محمود**»، لا تعــرف أنها لو لم تجدك لكانت مجنونة في إحدى غرف الرعاية أو ميتة لا حياة فيها.

بعثت له برســالة: «**محمود**» أريــد أن أراك، أرجوك اعتبره آخر طلب مني».

جاء كما موعدهم عند قطار البضائع.. كانت تنظر له وكأن العالم كله توقف معهما، وكأن الدنيا كلهــا قد خلت إلا منهما.. جرت نحوه واحتضنته.. تعجب: «ومنذ متى هذه الجراءة؟».

«منذ الآن، أريدك، لا أستطيع الحياة بدونك، أرجوك يا «**محمود**» فلنهرب».

«أنا أحافظ عليك، أقسم لك لو طاوعتك لقتلوك».

«لا يهمني، أريد أن أموت على أن يمسسنى غيرك».

«اســمعي يا «**وصال**»، أنا لن أراكِ مرة أخرى، لا أريد الحديث معك.. هيا اذهبي الآن».

أوصلها إلى بيتها وهي تبدي القوة، وفي داخلها نيران مشــتعلة تــكاد تميز من الغيــظ، وكأن جهنم قد بعثت بلهيبها إلــى قلبها لتزيده مرارة.

ليلة العرس المنشود كان عرسهما سويًّا؛ كان العريس من الجهة الأخرى حبيبها «**محمود**» وأما هي فلم تكن عروســه، كان ذلك الآخر الــذي لا تريده، الكل يرقص وأصــوات الزغاريد تتعالى في كل انحاء العرس تتمايل معــه وعيناها مع الآخر.. دقت طبــول الانتهاء؛ عليها الآن أن تدخل إلى غرفة رجل غيره، أن يمسســها رجل تكرهه، في هذه الليلة ماتت «**وصال**» من الداخل، كانت تعيش كجســد بالٍ بلا هوية، وزوجها يزيد عليها الخناق كل يوم حتى وقعت من طولها وأسرعوا بها إلى الطبيب.. والذي أخبرهم أنها تعرضت لصدمة نفسية شديدة لا بد

من حجزها بالمستشفى.. فقدت الإحساس بالطعام؛ لا تستطيع الحياة بدون «**محمــود**»؛ كانت تفتح عينيها وتحدق فيمــن حولها ولا تجده فتغمضها وتكمل غيبوبتها مرة أخرى.

لــم يعرف لهــا الطــب أي دواء، كانت رافضة للحياة، ســمع «**محمود**» ما بها ذهب، وكأنه سيواسي عمها وما أن رآها كالجثة الهامدة حتى أيقن تمامًا أنه أخطأ، لم يقتلها الزواج بل كان هو قاتلها، كان عليه في هذه اللحظة أن يســمع جهاز أنظار التنفس يصفر على صمت قلبها أمامه؛ جرت الممرضات والكل يصرخ، وجاء الطبيب بجهاز الإنعاش دون جدوى، كان واقفًا في حالة صدمة شــديدة، غطاها الطبيب وربت على كتف عمها ومضى.

لقد ماتت «**وصال**»، ماتت من عناد مجتمع لم يكترث لها، ماتت لعناد حبيب انصاع لأوامر نفســه، ما كان منه إلا أن جرى مســرعًا إلى أول قطار وهو مصدوم، وذهب «**محمود**» إلى حيث المجهول.. ذهب ولم يعد.

جعلوني مجرمة

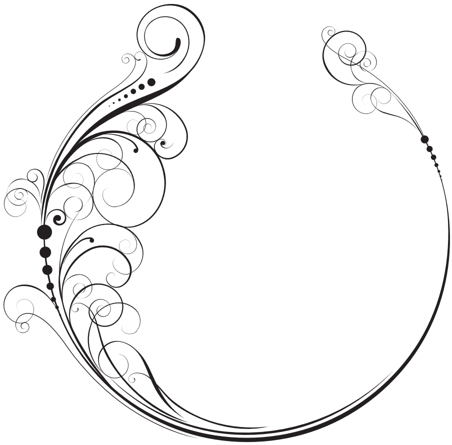

«**شـيماء**» فتاة كأي فتاة في صعيد مصر؛ منذ نعومة أظفارها تم تدريبها على أن تكون.. لا شيء.

تعلمي لتربي أطفالك، أنت مكسـورة الجنـاح.. تعلمي التبرج حتى تبهري طابورًا من العرسان.. كلما تزوجت مبكرًا كلما كان أفضل حتى تكيد «**أم حسـن**» جارتها، وتلك الفتاة في الحـي التي تعتقد أن لا أحد مثلها.

فـي ذلك اليوم خرجت «**شـيماء**» للجامعة فـي طريقها بعض الشـباب المتحرش بالألفاظ وحتى بالتلامس.. ولكن ممنوع عليها أن ترد هجماتهم؛ إن الفتـاة التي ترد على متحرش أو ذلك الأحمق الذي يلقى عليها ألفاظًا يجعل منها فتاة ليل وقذرة.

نعم، هكذا يتم التنبيه على كل فتاة؛ بعض العادات والتقاليد هي قرآن منزل.. طأطأت رأسها واحتضنت كتبها ومضت في صمت.

عنـد رجوعها للمنزل كانت المأسـاة التي لطالمـا أعطتها ذلك الإحسـاس بالكسـرة أكثر فأكثر، كانت الأخت الصغرى من بين ثلاث فتيات؛ «**منى**» والتي ما انفك زوجهـا وأهله إهانة بها كل يوم، و«**صفاء**» الأخت الوسطى التي كانت تحاول جاهدة ألا ترد حتى لا يطلقها زوجها..

مأسـاة عاشت فيها «**شـيماء**» ليال طوال من القهر والذل، وقد تركهن والدهن لأنهن فتيات وتزوج بأخرى حتى ينجب الأولاد.. ذلك الظهر والسند وغاية أمنياتهم في هذا المكان الموحش.

كان عليها أن تتحمل صفعات كثيرة.. حتى جاء اليوم الذي خرج الجميع مسرعًا على صوت بكاء حاد وصريخ ونحيب.. جرت «**شيماء**» مسرعة لترى ما الذي حدث كانت أختها الصامتة الهادئة «**صفاء**» ملقاة على أرض الشارع نحيبًا وصراخًا، نعم، هي من كانت تنتحب وتصرخ هكذا، ولكن ما الذي دفع تلك الهادئة لمثل هذه الثورة؟؟

حاول الجميع معرفة ما الذي ألم بها دون جدوى.. انتشلت «**شيماء**» أختها الملاقاة على الأرض، وأدخلتها المنزل وأغلقت الباب في وجه هؤلاء النسوة اللاتي حاولن معرفة السبب بفضول شديد.. كانت «**صفاء**» قد وضعت مولودتها منذ بضعة أيام.. ولكن.

«**شيماء**» تسأل: «حبيبتي ما الذي أصابك؟».

صمت من ناحية أختها شديد وتزيد في البكاء.

فأعادت عليها الكرة: «حبيبتي أخبريني، لن أخبر أحدًا حتى أمي عندما تعود من السوق لن تعرف شيئًا».

كان البيت خالٍ إلا منهما، وفي نفس متقطع وحشرجة في الكلام أخذت تتحدث «**صفاء**» كلام غير مفهوم مع هذا الكم من البكاء والنحيب: «لقد.. لقد.. أخذ الطفلة مني.. قال: لا يريد أنثى..».

«**شيماء**» وقد أخذتها الصدمة وحاولت أن تتماسك لتعرف تفاصيل أكثر: «وأين الطفلة؟».

«لا أدري..» ويستمر البكاء.

جرت «**شيماء**» مسرعة نحو حجرتها وارتدت ملابسها.. فهرولت أختها وهي لا تملك قوى على ردعها وبقبضتها الضعيفة: «أخبريني أين تذهبين؟ ماذا أنت فاعلة؟».

«لا تسألي اتركيني..».

أغلقت البــاب خلفها بقوة وذهبت إلى ورشــة العمل الخاصة بزوج أختها وكان بمفرده فيها:

«أين الطفلة؟».

«وما الذي يهمك؟ أهي ابنتك؟ لا تسألي.. هيا انصرفي من هنا».

أمســكته من ملابســه وصرخت في وجه: «أجبنــي الآن، أين الطفلة؟».

فنزع يدها من ملابسه وبقبضة قوية ألقى بها على الأرض، وهو يخلع حزام بنطاله وينهال عليها ضربًا.

«أتريديــن أن تعرفي أين الطفلة.. إنها تحت أقدامك، لقد دفنتها هنا، لن يعايرني أحد بأن معي أنثى.. لست أنا».

وارتدى حزامه مــرة أخرى وأعطاها ظهــره، وأخرج من جيبه ســيجارة وقام بتدخينها.. أخــذت هي تحفــر الأرض بيدها محاولة اســتخراج الفتاة فقد كانت الأرض رطبة، ويبــدو عليها أنه تم حفرها حديثًا، وما أن أخرجت قطعة من اللفة الصغيرة والتي اشترتها مع أختها بنفســها فرحًا بالمولودة حتى أوقفت الحفر، والتصقت بالحائط وهي ترتجف، وفي غير وعي منها أمسكت بإحدى المفكات الكبيرة الملقاة على الأرض، وانهالت على جمجمته تكسر فيها... خر واقعًا وهي لم تتوقف حتــى، تضرب وتضرب دون توقف حتى تمخضت ملابســها بالدماء وأصبحت رأسه كأنها خرقة بالية.

توقفت وهي تلهث، لا تصدق ما حدث، وما الذي ستفعله؟ ماذا سيحدث؟ كيف ستجري في الشارع هكذا!؟ إلى أين تهرب؟

وجدت ملابس عمله معلقة.. فقامت بخلع ملابسها ووضعتها في كيس واغتسلت من الدماء، وارتدت تلك الملابس الأخرى.. ووضعت قبعته وخرجت تترقب حتى لا يراها أحد.. ثم سرعان ما وصلت إلى محطة القطار.. وبداخلها مشوش لا تعرف ما العمل.

أخذت تتلفت يمينًا ويسارًا حتى لا يعرفها أحد، تحاول أن تداري عيونها من الناس حولها ولكن جاءها الخلاص.

إحدى الفتيات المسافرات تركت حقيبة سفر صغيرة على الأرض، جرت مسرعة لتنقذ طفلًا كان سيقع.. عمل بطولي لا يستحق أن تُسرق عليه، ولكن لا تدري تلك البطلة أنها ستنقذ في هذه اللحظة اثنين، أخذت «**شيماء**» الحقيبة وجرت على الحمام العمومي.. بالطبع انشغل الناس بالبطلة التي أنقذت طفلًا للتو.. دون أن يشعر أحد أن هناك بطلة أخرى ثأرت لطفل أيضًا.

وجدت بداخل الحقيبة جيبة وتيشرت، يبدو أن الفتاة كانت ستتخذه غيارًا احتياطيًّا لها، حمدت الله وارتدته.

حاولت الرجوع إلى منزلها.. كانت خائفة تترقب وجدت الجو هادئًا.. وفي منزلها الأم في قلق: «أين كنتِ؟ يكفيني أختك».

«كنت في محطة القطار.. كنت أريد الهرب».

«من أين لك بهذه الملابس؟».

«اشتريتها..».

ودخلت مسرعة إلى حجرتها، صوت أختها في الخارج تنتحب والأم معها، ويتحدثان على الهاتف مع أهل الزوج.. حتى يعرفا مصير الطفلة.

أما بطلتنا أغلقت على نفسها باب الحجرة وهي ترتجف.

قاربت الساعة على منتصف الليل يتصل أهل الزوج.. و«**شيماء**» تسترق السمع من خلف الباب.

يبــدو أن أهله اعتقــدوا أنه عند أختها لأنه لــم يرجع.. أغلقت السماعات.

قارب الفجر على الأذان صوت الهاتف مرة أخرى.

صرخت أختها «**صفاء**» ثم وقعت مغشــيًّا عليها.. أمسكت أمها الهاتف محاولة أن تعرف ما الذي حدث.. ثم سرعان ما كتمت أنفاسها وألقت الهاتف من يدها.

خرجت «**شــيماء**» من حجرتها محاولة أن تتماسك وألا يدري أحد ما بها.. الأم منهارة: «وجدوا زوج أختك مقتولًا.. والطفلة مدفونة في ورشته».

حاولت أن تدعى الصدمة وهي تواســي تــارة وتلقي بكلمات ذهول تارة أخرى.

أخذت التحقيقات تسمع أقوال الجميع.. شهر مضى لم يُستدل على القاتــل.. ولكن تُرى أين خبأت «**شــيماء**» الملابــس الملطخة بالدماء؟؟

لا أحد يعــرف أنها خبأتها فــي ذلك المنــزل المهجور الذي لا يعرف أحد منذ عقود ساكنيه إلا الأشباح.

فــي هذا اليوم وبعد أن هدأت الشــرطة والناس قليلًا قررت أن تذهب لتأخذها وتحرقها.. لم تكن تعلم أن «**عصام**» و«**ماجد**» يقتفيان

آثارهــا دون أن تدري، وما أن دخلت المنزل وأخرجت كيس الملابس حتى داهماها على الفور.. بضحكات عالية: «أرينا ما تخبئين».

اختطفاه من يدها وما أن أخرجــا الملابس حتى عرفا الحقيقة، فنظرا لبعضهما في ذهول: «أنت القاتلة!!».

كانت تتنفس بأعجوبــة من هول المفاجأة.. كادت أن يغشــى عليها.

فتبســما لبعضها بنظرة خبيثة وغمز أحدهما لها وقال: «أتدرين يا حلوة كيف لنا أن نقول شيئًا وفي يدنا الآن كنز؟».

طلبا منها الفاحشــة مقابل صمتهم على شــرط أن تأتي كل ليلة لإمتاعهــم. ابتلعت ريقها وهــي لا تكاد تصدق مــا يحدث، أخذت تفكر قليلًا ثم قالت: «فليكن ولكــن ليخرج واحد ويبقى الآخر لأمتع كلاكما.. هذا فوق طاقتي».

فأخذ يتشــاجران على من ســيكون الأول.. نعم، إنها الجميلة الناعمة التي لطالما حلم بها أغلب شباب المنطقة.

وكان الاختيار على «**ماجد**»، خرج الآخر يراقب لهما الجو حتى يفرغا ويدخل هو.. اقترب منها وهو يحاول أن يلمسها بطريقة مسرعة قــذرة كان يحمل في جيبه الخلفي مطواة كما يســميها الشــباب قرن الغــزال، وما أن هم باحتضانها حتى أخرجت المطواة وبدأت في طعنه طعنــات متفرقة حتى أردته جثة هامدة، ووقفــت خلف الباب المهدم تنادي على الآخر بصوت ناعــم، وما أن دخل حتى وجد صديقه يعوم في بحر من الدماء وقبل حتى أن يراها كانت قد فتكت به.

لم تر نفسها إلا وقد جعلت كلاًّ منهما أشلاء.

كيف الآن ستهرب من هذه أيضًا.. لحسن الحظ أن الجو شتاء وهي ترتدي هذه المرة ملابس كثيرة؛ خلعت الملابس التي من فوق والتي كانت ملوثة بالدماء وارتدتها من تحت، ونظفت نفسها جيدًا، هذا بالطبع بعد أن وضعت جثتيهما الممزقتين إلى أشلاء في صندوق قديم كانت به بعض الأرواق البالية وأغلقته بإحكام.. هذه المرة لم تنس كيس الملابس.

عادت إلى منزلها، وبدأت في إحراق الملابس جميعًا وقالت: إنها للتدفئة لم يشعر ولا حتى يشك بها أحد أبدًا.

في هذه اللحظة ولدت «**شيماء**» من جديد بقلب أسد وليس فتاة، لم تكن حادثة اختفاء زوج أختها أو «**ماجد**» و«**عصام**» الأولى والأخيرة، فقد توالت الأحداث في القرية دون جدوى من معرفة الفاعل، ولكن القتيل كان دائمًا متحرشًا أو شخص حاول أن يتعرض للنساء.

خاف رجال القرية وحاولوا معرفة القاتل بشتى الطرق.. في الوقت الذي استطاعت هي أن تكون ثروة صغيرة مما أخذته من ضحاياها، وبدأت تتعلم كيف ترشي وكيف تسرق الكبار وحتى لو وصل الأمر لقتلهم.. أصبحت رائحة الدماء شيئًا عاديًا.. وأصبحت كلمة خُط الصعيد تراود الناس من جديد.. هناك قاتل طليق لا يعرفه أحد ينتقيهم بعناية.

تلك الفتاة البريئة الساذجة دفعها المجتمع أن تصبح قاتلًا محترفًا بجدارة، والأدهى من ذلك أن تبدأ في تكوين عصابتها الخاصة بها.. لم يكن خط الصعيد رجلًا لقد أصبح الآن فتاة.

فتاة جعلها المجتمع بغبائه مجرمة.

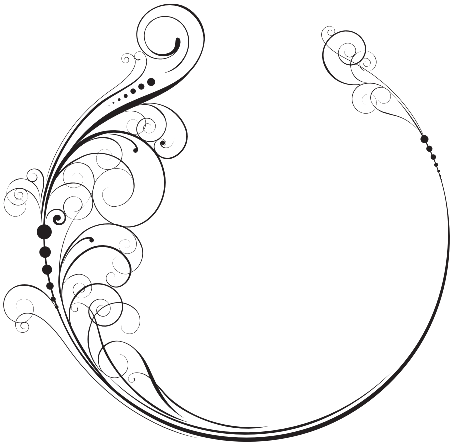

السجينة

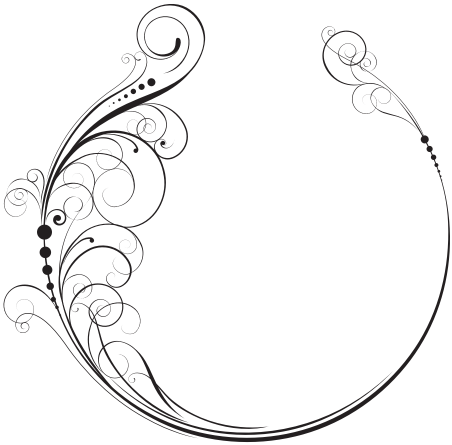

رحلة أسرية ســعيدة الكل يضحك، ويحكي عن يومهم الحافل أثناء العودة من جدة إلى الطائف بســيارتهم الفارهة، حين كانت هناك سيارة أمامهم لم يرها الســائق وفجأة انقلب الوضع رأسًا على عقب.. أفاقت «**نوف**» بعد فترة وجيزة وأصوات الإسعاف تحيط بالمكان وهي بين الإغماء والإفاقة على ســرير المرضى الصغير وسط أناس تهرول يمينًا ويسارًا وأصوات غريبة إلى أن استعادت وعيها، نظرت حولها في رعب وكانت سيارتهم منقلبة على وجهها وأسرة تحمل أفراد عائلاتها إلى أماكنهم بسيارات الإســعاف المختلفة والدماء تحيط بالمكان من كل اتجاه.

حاولت أن تقــوم إليهم لكن الأطباء منعوهــا وتم إيداعهم في أقرب مشفى لعلاجهم «**نوف**» كانت تصرخ لتعرف ما الذي حل بأسرتها ومحاولة يائسة من الأطباء في السيطرة عليها إلا أنها جرت مسرعة تاركة يد الممرضة التي حاولت الإمساك بها إلى الغرف المجاورة تهرول في خوف وتبحث عنهم لم تجد إلا أخيها الصغير «**الوليد**» أسرعت ناحيته وهي تصرخ وتبكي لكنه كان لا يجيبها وأجهزة كثيرة موصلة بجســده النحيل كل هذا وهي لا تشعر بالجروح المختلفة بجسدها والدماء التي فقدتها جعلتها تفقد الوعي.

حملتهــا الممرضات إلى غرفتها مرة أخــرى لكنها حين أفاقت هذه المرة ترجتهم أن تعرف ما الذي حدث في هذا الحين دخلت عليها عمتها «**وجدان**» وهي تبكي وتنوح وتحتضنها قائلة:

«يا ابنة أخي المسكين أنت من تبقى لي أنت وأخيك، يا الله ساعدني».

وهي تبكــي ودموع التماسـيح تغرقها فلقد تــرك أخوها تركة مهولة، وهــي الآن الوصي على «**الوليد**» الفتــى الصغير - الذي يبلغ من العمر تسع سنوات - والفتاة «**نوف**» - البالغة من العمر سبعة عشر عامًا -.. والآن عليهم أن يكونوا في قبضة سيدة كانت عدوتهم اللدود، وكانت دائمة الشجار مع والدهم، في تلك اللحظة كانت «**نوف**» تشعر أن الدنيــا كلها قد انتهت؛ لقد علمت منها أن كل من تحبهم قد انتهوا.. كادت تموت من الصدمــة هل حقًّا ماتت أمها ؟؟ وأبوها ؟؟ و أخواها الاثنان .. ولم يتبق لها إلا «**الوليد**» أخوها الصغير ..؟؟

أخرجــت عمتها نقابًا من حقيبتها وألقتــه على الفتاة وهي تنظر لهــا بخبث: « غطي وجهك يــا فتاة، فعلينا الآن الذهــاب إلى منزلي، وتعلمين أن ابن عتمك «**فهد**» هنــاك، ولا أريد أن يُقال: إنني أتعمد أن يراك وخاصة بعد رفض أبيك لخطبته منك».

استسلمت «**نوف**» لها وهي تجرها وراءها وصولًا إلى غرفة أخيها «**الوليد**»، والذي علمت أنه أصبح مشــلولًا من الحادث، ولن يســتطيع الحركة مرة أخرى، أصبحت أســيرة في يد عمتها بل وأصبح ولدها فهد هــو الوصي الآن عليها وعلى أخيها الذي أصبــح عاجزًا.. أثناء إحضار أخيها للذهاب بعدما اســتعاد وعيه علمت من الأطباء أن هناك عملية له عليهم القيام بها في فرنسا، وسوف يستعيد عافيته ويمشي مرة أخرى.

كادت تطير من السعادة وحاولت أن تأخذ رقم المشفى الفرنسي إلا أن عمتهــا قبضت على يدهــا قائلة: «ليس الآن يــا عزيزتي فلدينا مصاريف أخرى لا نعلم سنقدر عليها أم لا».

الفتاة في غيظ: «ولكن تركة والدي ستغطي كل شيء وتزيد».

ردت عمتها في بـــرود: «من قال لك: إن والـــدك لديه كل هذه النقود يا عزيزتي .. لقد كان يقترض مني كثيرًا في الآونة الأخيرة».

صرخت «**نـــوف**»: «كاذبة عمتي!! أبي لم يقترض منك أبدًا، بل أنت من كانت تطلب منه القروض».

صفعتها عمتها على وجهها في غيظ وســـحبتها من نقابها إلى أن وصلا إلى السيارة كان الســـائق هو «**فهد**» ولدها والذي كان ينظر إلى «**نوف**» ويبتسم نظرة تنم على الانتصار بل وأنها أصبحت ملكه الآن.

مرت أشـــهر ذاقت فيها الفتـــاة ويلات اليتم والمعاملة السـيئة منهم، بل وحبســـها بالمنزل، ومنعها من الخروج دون الولي، وقد كان وليها بالطبع هو «**فهد**» الذي كان يســـاومها على قبول الزواج منه على أن يتركهـــا تخرج قليلًا كل حين .. أصبحت «**نوف**» أســـيرة هذا الولي الظالـــم، بل والخوف مـــن الخروج حتى لا يقبـــض عليها، كانت هي وأخت «**فهد**» ابنـــة عمتها «**جمانة**» والتي كانت حبيســـة مثلها لا تقدر على الخروج، بل وكانت قد كبرت في السن ولم تتزوج بعد.

«**جمانة**» كانت فتاة جميلة؛ الغريب أنها لم تتزوج بعد؛ أصبحتا صديقتين وكانتا تقضيان وقتًا ممتعًـــا معًا بعيدًا عن الأم والأخ.. بدأت «**جمانة**» تحب «**نوف**» وتأتمنها على أسرارها فحكايتها كانت أليمة فقد كانت على علاقة بالسائق السابق - وكان هنديًّا مسلمًا -، أحبا بعضهما ولكن الأم رفضت زواجها؛ لأنه من طبقة لا تليق بها وبمقامها؛ رغم أنه مســـلم ولم تكن هذه تعاليم النبي ﷺ حينما أخبرنا أن الناس سواســـية كأسنان المشط .

لكن الأم طردت السائق، ومنعت الابنة من الخروج.. لقد كان مجيء «**نوف**» إليها بمثابة المنقذ من محبسها هذا، وأصبحا يقضيان وقتًا ممتعًا سويًّا، ويهتما معًا بأخيها «**الوليد**»، إلى أن اتفقتا سويًّا على خطة للتخلص من وضعهما هذا تحصلا على ملابس رجال وقاموا بالتنكر بعد أن اتفقت «**جمانة**» مع «**عبد الرحمن**» حبيبها - السائق الهندي - على الهرب والزواج بعيدًا عن أهلها فقد حصل على عمل في شركة بعد طرد والدتها له.

ارتدتا ملابس الرجال وحملتا «**الوليد**» بسرعة وانتظرتا بعدما غط البيت في نوم عميق وأخذا قدر المستطاع من النقود، وخاصة «**جمانة**» جمعت كل ما تحمل من حلي ذهبي حتى يساعدهما علي المعيشة، كان «**عبد الرحمن**» في انتظارهم بعيدًا على حدود المدينة وهو خائف يترقب.

استجمعتا قوتيهما وحصلت «**جمانة**» أيضا على مفاتيح السيارة ورخصة قيادة أخيها، راقبتا المكان جيدًا إلى أن تأكدتا أن لا أحد يتبعهما، ووضعتا «**الوليد**» بالسيارة بسرعة وانطلقتا، كانت «**نوف**» تعرف القيادة جيدًا فقد كانت تقود سيارات والدها في حديقة قصرهم، وكانت هي الأخرى قد أعدت كل شيء؛ أوراقها وأوراق أخيها على أمل الهرب به خارجًا ومعالجته حتى يستعيد عافيته ويمشي على قدميه مرة أخرى.

كان كل ما يقلقهما هو الشرطة لو رأتهما الشرطة تقود السيارة سوف يكون عقابهما رادعًا، وخاصة أن القانون يجرم قيادة النساء، تنفستا الصعداء ومحرك السيارة يخرج زفيره معلنًا انطلاقها، كل ما عليهما الآن هو الدقة والسرعة حتى لا يتم القبض عليهما.

قادت «**نوف**» السيارة وانطلقت مسرعة، صوت المحرك أيقظ الأم والتي هرولت إلى النافذة كالذئب تنظر فوجدت سيارة ابنها قد انطلقت؛ أسرعت إلى غرفة الفتاتين فلم تجدهما فعلمت ما تنويان عليه، فأيقظت «**فهدًا**» والذي استشاط غضبًا وانطلق خلفهما في محاولة منه لمعرفة وجهتهما، ولكنهما كانتا قد اختفتا تمامًا.

قام بالاتصال بالسلطات والإبلاغ عن سرقة السيارة وإعطائهم رقمها.. في تلك الأثناء كانت «**نوف**» في طريقها مع «**جمانة**» وأخيها إلى أن رأتهم إحدى دوريات الشرطة وقد تم إعلام الكل عن رقم السيارة، انطلقت خلفهما وهما تحاولان الفرار منها قدر المستطاع ولكن سيارة الشرطة بدأت تعطي بلاغًا عن الإمساك بالسيارة المشبوهة وأصبحت تنضم إليها السيارات الأخرى إلى أن حاصروهما من كل الاتجاهات وأوقفوا السيارة.

كانوا قد أبلغوا «**فهدًا**» والذي لم يتوان وقدم مسرعًا، وجد الشرطة قد اكتشفت أنهما نسوة وقاموا بتحرير محضر مخالفة لهن حيث أن القانون يجرم قيادة النساء تحت أي وضع إلى جانب محضر السرقة واقتادوهما إلى مركز الشرطة مكبلي الأيدي..حاولت «**نوف**» شرح ما يحدث لهما دون جدوى، لم يستمع أحد إلى حديثها وهجم عليهما «**فهد**» وانهال سبًّا وضربًا فيهما، وأمسكته الشرطة، وتم تسوية الأمر وتم تسليمه الفتاتين.

قام بربطهما في جذع شجرة بمنزله وهو ممسكًا بعصا كبيرة في يده قال وهو يبتسم: «أحضروا المفاجأة أيها الخدم ..».

أحضر الخدم «**عبد الرحمن**» وكان مقيدًا وينزف دمًا؛ صرخت

«**جمانة**» وهي تتوسل إليه ألا يقتله فأمسك عصاه وأخذ يضربه بها حتى أصبحت الدماء تغطي كل جسده، ووقع على الأرض بدون حراك.. ثم فك وثاق أخته وأمسك بها من شعرها وألقى بها بجواره قائلًا: « انظري أيتها الحمقاء ملء عينيك قبل أن أقضي عليه» ورفع عصاه عاليًا قاصدًا رأس «**عبد الرحمن**» حتى يهشـــمها فهجمت عليه «**جمانة**» ووضعت رأسها فوق رأسه بسرعة قبل أن ينظر أخاها فنزلت العصا كحد السيف على رأســـها ففلقته، وارتمت جثة هامدة على الأرض، أخذت «**نوف**» تصرخ وتنـــادي عليها وألقى هـــو العصا من يده في ذعـــر وابتعد إلى الخلـــف، فصرخت الأم وهرولت ناحية «**جمانـــة**» تناديها وتنوح دون حركة، كان «**عبد الرحمـــن**» ما زال على قيد الحياة فرفع ناظريه ووجد حبيبته قـــد قضت نحبها وهي تحميه من المـــوت، فحاول رغم القيود يناديها دون مجيب.

ماتـــت «**جمانـــة**» وانتهى وضع «**عبـــد الرحمـــن**» بترحيله من الســـعودية، وقد أصيب بكســـور متفرقة في جســـده، والتواء بعموده الفقري ونار بقلبه.

أجبرت «**نوف**» على الزواج من «**فهد**»؛ ليتحصل على الميراث، وعاشت سجينة ذلك المنزل إلى الأبد.

فتاة الروهنج

اسمي «**فاطمة**»، أنا فتاة أعيش في مينمار من الروهنج المسلمين، حياتـــي إلى حد ما تعتبر بسـيطة، والدي يعمل بالحقــل وطعامنا فقير جدًّا، ولكننا نحمد الله عليه، إلى أن بدأ البوذيون بمســاعدة السلطات في الإغارة على القرى المســلمة، وقتل كل من فيها، بدأ هذا في قريتنا في يوم جمعة عقب الصلاة مباشـرة، كنــت أخرج في الصباح لأجمع البيــض من الدجاجات بمنزلنا بالطابق العلوي، لمحت من بعيد رجال يحملون ســيوف وأسـلحة ثقيلة، وهم يهرولون ناحية قريتنا، توقف قلبي من الفــزع، وبدأت أصرخ وأنبه قومي ليأخــذوا حذرهم وما أن اقتربوا اختبأت في عش الدجاج، وكان هناك ثقب بالجدار المطل على الشارع، كنت أنظر منه ورعشة فظيعة تسري في جسدي.

أول رجل دخل وجد «**أم حســين**» جارتنا، وانهال عليها وعلى «**حســين**» الصغير بالسيف، وجعلهما أشــلاء، حاولت تمالك نفسي إلا أنني أصبحت أتقيأ بشــدة من هول المنظر، وأحاول الســيطرة على نفسي، وجدت أختي «**عائشة**» تخرج من منزلنا وهي تصرخ، ووراءها أحدهــم إلى أن دخل بها فــي منزل قريب وما هــي إلا بضع لحظات حتى خرج حاملًا رأســها بيده، في هذه اللحظة أغشي عليَّ ولم أشعر بمــا يحدث حولي، ولكني أفقت على هرولة الدجاجات على وجهي، وبدأت أســتعيد نفســي، ورأســي يدور من الألم والحزن، وفي أثناء محاولة إفاقتي وجدت شابًّا واقفًا أمام العش ينظر لي من خلف الثقوب ويبتسم، حاولت أن أتشبث بالأرض بمحاولة يائسة مني للخلاص منه،

وأنا لا أعي ما أفعله إلا أنه فتح الباب وأمسك بقدمي وسحبني بقوة إلى الخارج، وأنا ممسكة بالأرض بأصابعي إلى أن أصيبت يدي بخدوش شديدة جراء مقاومتي وتمسكي بالأرض.

ومـــا أن أخرجني من العش حتى حاولت الهرولة بعيدًا منه إلا أنه أمســك بي من شعري، وأنا أحاول الصراخ وصوتي لا يخرج من الألم، إحساس لا يوصف، ولكنه استمر بسحبي على الدرج حتى وجدت نفسي بمنزلي بالأسفل وآثار الدماء تلطخ كل شـــيء به، ازدادت تلك الرعشة بجســدى وأصبحت لا تفارقني ويدي أصبحت أضعف مما كانت عليه وقلت مقاومتي وألقى بي على سرير والدي، وانهال علي يهتك عرضي وأنا بين الإفاقة والإغماء لا أشــعر بأي شيء، وفجأة وجدته ينادى على بعض أصدقائه كانوا خمســة وهو سادســهم، وتناوبــوا على اغتصابي واحدًا تلو الآخر إلى أن فقدت الوعي تمامًا، شــعرت بصفعة أحدهم لي على وجهي إلا أن قوة الصفعة أكملت علي وغرقت في سبات عميق.

لا أعلم كم لبثت على هــذا الوضع إلا أنني كنت غارقة بالدماء حاولت أن أســتند على عصا والدي، ولا أعلم ما أرتديه فقط، وضعت على جسدي المتهالك ما وجدته أمامي من ملابس، وبدأت اتعكز على العصا وأنا أنادي على أمي وإخوتي ووالدي، ولكن لا مجيب؛ خرجت إلى الشارع فوجدته هو الآخر غارقًا في بحور من الدماء، ألقيت بالعصا وأنـــا أجري بعيدًا بخطـــوات متعرجة، كلما خطـــوت خطوة أقع على الأرض وأتشبث لأقوم وأواصل الجري من جديد.

خلفت من ورائي مذبحة لا تنســى، وأنا أهرول وسط الحقول التي هجر أصحابها الحياة بلا عودة.

والنزيف لا يتوقف والرؤية ضبابيـــة أمامي حتى وجدت أمامي بضعة رجال يحملون أســلحة ويختبئون وســط الأشــجار، ارتعدت وحاولــت الهروب منهــم إلا أن أحدهــم طمأنني وأخبرنــي أنه من المسلمين، وأنه يســاعد الناجين بالقرى، ولكنه ما إن حاول مساعدتي على النهوض حتى أبعدت يدي، أصبت بخوف من كل شــيء حولي حتى ممن يحاول مساعدتي.. لكنه نظر إلي وإلى الدماء التي لا تتوقف مني وطأطأ رأسه في خجل، ورأيته يحاول السيطرة على دموع لا أراها، ونادى على ســيدة كبيرة في الســن كانت مختبئة خلفهم، اقتربت مني وأخذت تمســح على رأســي، وأعطتنــي دواء شــربته، وغصت في نوم عميق لأصحو وأجد نفســي قد اغتســلت، وتوقــف النزيف عني وأصبحت صحتي أفضل من السابق.

لا أعلم أيــن أنا، خرجــت ووجدتني في قــارب قديم ببحيرة مهجــورة، وبجواري قوارب أخــرى قديمة وبها ثقــوب، لكنها مليئة بالأطفال والنساء، اتخذوها سكنًا لهم، لم أسأل عن أي شيء، التزمت الصمت وجلست مكاني أنظر للســماء وللبحر فقط، وكلما قدموا لي طعامًا رغم أنهم اجتهدوا وســاعدوني، وكان الطعام بعض الأعشاب، وحســاء يكاد طعمه لا يفرق عن الماء الســاخن من فقــر إمكانياتهم، إلا أنني كنت أرفض الطعام وأجلس على جنب لا أحدث أحدًا.

لكن السيدة العجوز كانت تأتيني لتمسح على رأسي، وتخبرني أن أتنــاول الطعام وتحــاول طمأنتي، فبدأت أخذ جرعــات قليلة منه حتى تبقيني حية ليس أكثر، كنت أراقب من بعيد وأنا لا أكترث لشيء، ومشــاهد ما حدث لي ولأهلي لا تفارق ذاكرتي أبــدًا.. تعاد عليَّ كل

لحظة تقريبًا حتى وجدت مكانًا منعزلًا وبدأت أهرب إليه وإلى سكونه لأختلي بنفسـي وأحزاني، وأعود آخر الليل لأنام فقط حتى ظنوا أنني خرسـاء لا أتحدث، وجدت فيهم بعض الشـباب العرب، كنت أفهم لغتهم إلى حد ما لأن والدي كان إمام المسجد بقريتنا، واعتاد تحفيظي القرآن وتعليمـي العربية، علمت أنهم جاءوا لمسـاعدتنا، وهربوا من أهلهم الذين رفضوا ذهابهم إلى مينمار خوفًا على أبنائهم غير مكترثين بما يحدث لنا.. لكن أبنائهم لم ينصاعوا لأوامرهم.

رأيتهم ذات ليلة يقتسـمون أموالهم ويقولـون: إنها بدأت تنفد لأنهم كانوا يجلبون بها الطعام لنا، حتى طلبوا منا الاجتماع وأنا جالسة بالخلف غيـر مكترثة لأي شـيء، أخبرونا عن طريق شـاب مترجم لكلامهم والذي كنـت أفهمه أن النقود بدأت تنفد، وعليهم تقسـيمنا إلى مجموعات لتهريبنا إلى بلدانهم عن طريق بعض شـركات العمالة التي تساعدهم، ولم يكن باسـتطاعتهم إلا فعل ذلك، أعلم أنهم فعلوا ما بوسعهم جزاهم الله خيرًا، إلا إنني كنت أتمنى الموت في كل لحظة وليلة لأهرب من جحيم الذكريات.

كنت أنا وبعض النسـوة والأطفال من نصيب شـابين سيقومان بتهريبنا إلـى الأردن، بدأوا يرتدون كالبوذييـن للتخفي، وأخبرونا أن نخفي ديننا وماهيتنا حتى نسـتطيع الخـلاص والهروب، المكان كان مظلمًا جدًّا أثناء الليل، وكان علينا ألا نشـعل أي أضواء حتى لا يشعر بنا أحد.

مسـيرة أيام شـاقة كانت تلك الرحلة بلا هـوادة إلى أن وصلنا إلى سـيارة ترحيلات كبيرة كانت تابعة لهم، فقد كنا نختبئ بالنهار في

الكهوف تكسونا الحشـــرات والأفاعي، وبالليل كانت مسيرتنا إلى أن وصلنا إلى تلك العربـــة الكبيرة التابعة لهم، وبدأنـــا نتنفس الصعداء، الحقيقة كانوا في قمة الأدب والأخلاق معنا، ركب معنا أحد الشـــابين والآخر مضى ليكمل المسيرة مع غيرنا.

جلست بجوار النافذة ورأسي ملقاة عليها أنظر إلى السماء تارة، وإلـــى الأماكن الغريبة التي أراها لأول مرة تارة أخرى.. إلى أن توقفت السيارة وســـمعنا أصوات طلقات نارية أغمضت عيني وأغلقت أذني بيدي وأنا لا أريد أن أسمع ولا أعرف ما الذي يحدث هناك، يد أمسكت بـــي وهي تجري وتجرني معها، وأنا ما زلـــت مغمضة عيني لا أريد أن أرى من تكون فربما يكون أحد البوذيين سيقتلني ليريحني من العذاب الذي أعيشـــه؛ فأنا الآن مجرد جثة تتنفس لا أكثر، جرينا مسيرة ساعات طوال إلى أن وقعت من التعب، وأفقت مرة أخرى وأنا في كهف يتخلله ضوء القمر من بعض الثقوب؛ فتحت عيني وإذ بهذا الشـــاب الأردني جالس بعيدًا عني يشـــعل بعض النيران ويشـــوي عليها بضع سمكات صغيـــرات وضعهم بعد الانتهـــاء على لحاء شـــجرة، واقترب مني ثم وضعهم بجواري وابتعد في صمت.

وجدته كان واضعًا رداءه علي من البرد لتدفئتي، وأراه يرتعد في الخارج بردًا، وينفخ في يديه أخذت قطعة صغيرة من الســـمك وأكلتها ثم نهضت وأعطيته الباقي، أرى أنه لم يأكل، وآثرني على نفســـه؛ لكنه عندمـــا وجدني فعلت هذا أصر بلغته العربيـــة والتي لم يكن يعلم أنني أعرفها على أن آكل، وأنه ليس بجائع، فنظرت إلى الأرض وأنا أحدثه: «رجاء لا بد أن تأكل، أنا لست جائعة».

تعجب حينما تكلمت بالعربية: «هل تعرفين العربية؟».

صمت لبرهة ثم أردفت حديثي: «نعم والدي علمني».

وتركته وذهبت، ظل جالسًا في الخارج إلى أن وجدته نائمًا في العراء والبرد يحيط به، فخلعت معطفه الذي وضعه فوقي وقمت بتغطيته، ودخلت إلى الكهف مرة أخرى إلى أن جاء الصباح، ومضينا سويًّا، لم أسأله ما الذي حدث لباقي النسوة ولا الأطفال، أو ما الذي حدث في سيارة الترحيلات؟ فقد كنت أعلم جيدًا ما الذي حدث.

وصلنا إلى حدود دولة لا أعرفها، أخرج جواز سفره وأوراقه، وسمحوا له بالعبور ورفضوا عبوري؛ لكنه أخبرهم أنني زوجته فطلبوا منه الأوراق، أحسست بحزن يتخلله فأخذني على جنب منهم، وهو يستحيي الحديث معي قائلًا: «أختي يريدون أوراق تثبت زيجتنا، والحقيقة أنا أطلب منك أن نذهب إلى السفارة ونتزوج؛ حتى أستطيع إخراجك من هنا، وأقسم لك أنني لا أنوي أي شيء، إن أردت تطليقك عند أول ملاذ آمن لك هذا.. فقط مجرد شكليات حتى أستطيع إنقاذك».

«ليس عليك الزواج مني يا أخي، اتركهم يقتلوني لا تكترث لي، أنا منتهية تمامًا».

بعد إصرار قوي منه وافقت، ورجعنا إلى أقرب سفارة، وتم زواجنا ثم عدنا هذه المرة بالسيارات وأنا أمشي نهارًا وسط الناس لا أختبئ؛ فأنا الآن زوجته، ولن يقترب أحد مني إلى أن وصلنا إلى مكان أخذ منه نقودًا، وركبنا وأحضر لي بعض الأوراق، وركبنا الطائرة المتجهة إلى الأردن، كان يمشي وأنا خلفه ولا يوجد بيننا أي حديث، وحتى هو لم أر في أدبه وحيائه، كان دائمًا ما ينظر إلى الأرض حينما

يطلب مني أو يعطيني شيئًا.. إلى أن وصلنا إلى مكان كبير عالي الأسوار به حدائق غنـــاء لم أر مثلها من قبل، فقد كنـــت أعيش طيلة حياتي في بلدة فقيرة؛ نعيش على الفتات، أجلســـني على كرســـي بداخل المنزل الفخم هذا، ووجدت ســـيدة خمنت أنها أمـــه، وقد كانت كذلك قادمة نحوه ودار بينهما مشاحنات كبيرة، سمعتها تصرخ في وجهه وتسبه لأنه قدم بي إلى هنا، أكثر كلمة أوجعتني هي حينما قالت له: اذهب بها إلى أي ملجئ حكومي أو أيًّا كان، أنا ســـأخطب لك ابنة خالك وأنت تعلم لو علموا بذلك ستفشل زيجتك.

سمعته يتوسل إليها ويقبل يديها لكنها رفضت تمامًا، الحقيقة لم تعلم هي قدر ما قاسيته من مرارة كوني مسلمة في بلد تنبذ الإسلام، بل وتقتل المســـلمين، وتنتهك اعراضهم، لم تعلم تلك السيدة التي تعيش فـــي القصور أننا لم نر إلا الدماء والدمار، وكيف لها أن تعلم أو تكترث بنا، تركتهما واتجهت صوب الباب وفتحته، وهممت بالخروج فأسرع الشـــاب ورائي والذي كان يقول اســـمه وأوراقه باســـتمرار، وأنا حتى لا أذكره، الشاب الذي الآن هو زوجي وأنا بدون حياة ولا أهل ولا حتى أذكر اسمه من هول ما قاسيته.

حاولت أن أجعله يعيدني إلى بلدي؛ فالموت هو الراحة والسبيل لي الآن، لكنه أصر على بقائي، بل وقبَّل رأس أمه، وأخذني وذهب بي إلى شـــقة صغيرة وأحضر لي ملابس وطعامًا، وأعطاني نقودًا وأخبرني أنها ملكي، وأنه ســـيأتي ليطمئن عليَّ كل فترة، وأنا لي كامل الحرية إن أردت الطلاق.. مرت شهور على هذا الحال، كنت بدأت أسترد نفسي بعض الشـــيء، حتى ذلك الشـــاب كان يبعث لي نسوة يأتين ليخرجن

معي، كن حقيقة خير صحبــة، وأصبحت أحبهن جدًّا وأحب الخروج معهن، وجدت عملًا في إحدى المنــازل فأنا أجيد الطهي والتنظيف، وأصــررت على العمل؛ لأنه المتاح لي، وليس لــدي ما يثبت تعليمي ولا أي شيء، وطلبت من الشاب تطليقي فيكفيه ما جلبته له من مشاكل منذ عرفني، الحقيقة يكيفيه أنه ســاعدني، كل هذا وأنا أدعو له الله كل ليلة، حاول جاهدًا أن يرفض طلبي، وأن أظل زوجته؛ لكنني سأظلمه، لم يكن بقائي على ذمته إلا مجرد أوراق، أنا حقًّا لا أصلح الآن كزوجة أبدًا، فأنا مجرد رفات، ما بي من ذكريات يكفيني لأن أعيش شبحًا ليس له وجود، اكتفيــت بالعمل ومصاحبة هؤلاء النســوة الطيبات، وكنت أطمئن على الشــاب من بعيد.. الحقيقة لا أعلم ما يخبئه لي المستقبل، ولكــن أعلم جيدًا أني المحظوظة الوحيدة من بين قومي، فالكل إما أن يُقتل أو أن يعيش مطاردًا طيلة حياته.

أحببت مصريًّا

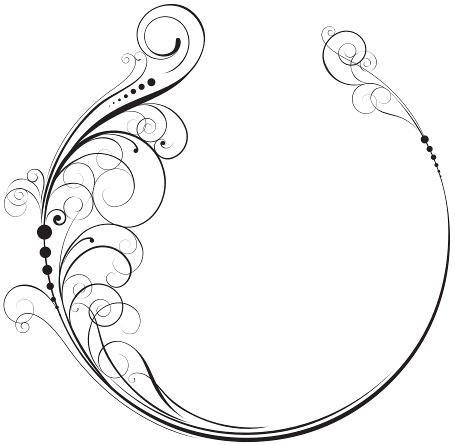

لا تلوموني أنا سيدة حُكم عليها أن تكون من أسرة مرموقة عالية المقام بدولة الإمارات العربية لذلك فقد كان محرمًا علي أشـياء عدة تعتقدون أن أموالي الطائلة يمكنها شـراء السعادة..! لقد مات زوجي وترك لي ابنة وحيدة.

لم يكن في حياتي أي شيء سوى المحافظة على بقاء الشركات التي تملكها ابنتي «**أسيل**» والتي تبلغ الآن الرابعة عشر من العمر، حياتي رغم الحفلات والسـفر المسـتمر إلي بلدان العالم كلها إلا أنها كانت فارغة مـن الحياة، لا أعلم الحزن الذي ظل ملازمًا لي لا يفارقني رغم ما يحيط بي من ترف..حتى تعرفت على «**أحمد**»، وهو شـاب مصري في الثالثة والثلاثين من عمره كان يعمل مهندسًـا في إحدى شـركاتي التي أديرها لا أذكر حتى كيف أحببته فقد جمعتنا لقاءات قصيرة للعمل فقط.

ربما انتظاره المسـتمر لي في موقف السـيارة عند نزولي وهو يحمل لي باقـة الزهور ويهمس أنني جميلة أو..يا إلهي ما الذي دهاني حتـى أنتظر نظرة واحدة منه كلما مر والـذي كان لا يرفع عيناه عني.. حمقاء أنا كيف يعجبني رجل محرم علي..؟؟ أنا من أسرة كبيرة ممنوع علي الزواج من خارج أسرتي حتى.

أسـرعت بالذهـاب إلى مكتبـي حتـى لا أراه وفتحت جهاز الكمبيوتر لأتصفح رسـائل الانترنت فوجدت رسالة منه «إلى السيدة

الجميلة «**وجد**» أبعث إليك بفكرة مشــروع ضخم سيدر أرباحًا كبيرة وأرجو قبول طلبي لمناقشة المشروع «.

أغلقت الرســائل وأنــا لا أعرف حقًّا هل أوافــق أم لا..؟ لكن ما الذي سيضير لو سمعت حديثه؟..نعم نعم سأبعث إليه أنني وافقت، قلبي يدق بضع لحظات وكان واقفًا على بابي ابتلعت ريقي وأنا أتحاشى النظر إليه، كلماته المنمقة وحديثه الرقيق معي وخاصة حياءه وهو ينظر إلــى الأرض كلما قابلتــه وجهًا لوجه جذبني إليه بقوة أكثر مما ســبق ووجدتني أوافق علي مشروعه وتكثر لقاءاتنا بسبب ذلك المشروع بل حتــى اليوم الذي وجدته أمامي يتصبب عرقــا وهو يقول: «إنه يريدني فــي الحلال» ثم يهرول خارجًا دون أن يســمع ردي.. قلبي ظل يخفق بسرعة كالبركان، مرت ثلاثة أيام وهو يتحاشاني حتى أرسلت في طلبه وتحدثنا كثيرًا كدت أخبره أنني وافقت وأنني أريده زوجا لي، ولكن من سيسمح لي؟ سيأخذون ابنتي مني ويســلبونني كل شيء، بل سأصبح منبوذة وأفقد كل ما أملك.

مع كثرة لقاءاتنــا، وأخلاقه العالية وجدت نفســي التي فقدتها بزواج فُرض عليّ وقد كنت في الرابعة عشر من عمري حينها لم أعرف معنى الحب حتى قررت الزواج منــه ، نعم! وافقت على أن يكون في السر حتى لا نقع تحت أي مشاكل، «**أحمد**» كان شابًّا متدينًا جدًّا ملتحيًا وكأني عدت معه إلى عهد الصحابة غريب جدًّا لم يمس نقودي أبدًا بل ظل متمســكًا على أن يصرف هو من ماله الخاص، حياتي مع «**أحمد**» كانت نعيمًا لا يوصف مر عامــان على زواجنا حتى أصبحت ابنتي في السادسة عشر من العمر، الحقيقة لم أحرمها من أي شيء حتي مربيتها

الفلبينيـــة كانـــت لا تفارقها وملازمة لها في كل مـــكان لم أخبء عنها زواجي مـــن «**أحمد**» بل كانت ترافقنا فـــي رحلاتنا خارج البلاد لكني لاحظت التصاقها المســـتمر بالمربية بل لقد أصبحت تحبها أكثر مني وتأتمنها على أسرارها، حاولت التقرب منها لكنها أبت وكانت تعاملني على أنني مصدر للنقود، حتى اكتشـــفت الصدمة المريرة!!! ابنتي ذات السادسة عشر على علاقة بشاب فرنسي ليس مسلمًا، حاولت أن أبعدها عنه ولكني اكتشـــفت أن المربية كانت على علم مـــن البداية بل كانت تبارك هذه العلاقة! أحسســـت أن عالمي كله انطبق رأسًـــا على عقب وخاصةً أن العلاقة كانت أكبر مما أتخيل.

سافرت إلى فرنسا على عجالة من أمري وتركت «**أحمد**» ليدير شركاتي بعد معاناة حتى وافق، اتصلت بالشاب «**فردريك**» الذي تربطه علاقة بابنتي الصغيرة وقابلته شـــاب في الحادية والعشرين أشقر أزرق العينين يرتاد كلية الحقوق.. في الواقع كان مهذبًا جدًّا في حديثه وإبدائه رغبته في التعرف علينا أكثر، ولمســـت حب ابنتي في قلبه ولكن عدت خاوية الوفاق وقلبي مكسور بشدة حاولت الحديث مع فتاتي..

«ابنتي الحبيبة!.. لن يســـمح لك أفـــراد العائلة بالارتباط به أبدًا وستقعين في مشاكل كبيرة».

«أمي! ألم تفعلي أنت ذلك..!؟»

«أنـــا ظروفي مختلفة وتزوجت من العائلـــة وأنجبت ثم لا أحد يعلم بزواجي من «**أحمد**» إلا أنت».

«لا يهم، أنا أحـــب «**فردريك**»، ولا أهتم لتلـــك العائلة العتيقة الطراز».

حاولــت أن أثنيها عن فعلتها لكني فشــلت.. وكنت في نار بين ابنتي والعائلة التي ترفض أي شــيء خارجها حتى علم «**أحمد**» ما بي ورغــم حيائه إلا أنه طلب مني السـفر بورقة قدمها لـي لم أعلم حتى ما الذي دفعه للسفر لكني كنت في مصيبة ابنتي ولم أكترث له، مر شهر كامــلًا وهو يطمئن علي وأنا على حالي بل حال ابنتي بدأ يزداد سـوءًا وخاصة أن الشاب الفرنسـي قطع علاقته بها دون أن يبدي أي أسباب واختفي تمامًا، كانت حالتها يُرثى لها لا أعرف كيف أجعلها سعيدة إلى أن اتصل بي «**أحمد**» وأخبرني أنه قادم ومعه مفاجأة سـارة لـ«**أسـيل**» ابنتي، كانت «**أسـيل**» تحب «**أحمد**» كوالدها رغم صغر سـنه وسني إلا أنــه كان يعاملها معاملة كريمة وهي تبادلــه الاحترام؛ جاء «**أحمد**» ومعــه «**فردريـك**»، جن جنوني كيـف يحضره معه**!** كادت «**أسـيل**» أن تطيـر من الفرحة ولكن «**فردريك**» كان مختلفًا جدًّا لقد كان يشــبه «**أحمد**» كثيرًا كان يرتدي جلبابًا ولحيته بدأت تنبت وعيناه تلزم الأرض في الحديث.

تعجبت له فابتســم لي «**أحمد**» وقال: «عزيزتي أعرفك بالشاب «**محمد**» لقد أسلم حديثًا وجاء ليطلب يد ابنتنا «**أسيل**»».

ابتسم الفتى الذي أصبح اسمه «**محمد**» الآن إلي وإلى ابنتي في حياء وقال: «سيدتي مهر ابنتك هو الإسلام ألا تقبلينه لها..؟»

وسط هذه الطاقة الجميلة كدت أبكي من السعادة، ولكن الأسرة لن تهتم لإسلامه أبدا كل ما يهمهم هو المكانة الاجتماعية والمحافظة على نسل العائلة والنقود.. أخبرت عمها والذي رفض بشدة وأخبرني أنه سيأتي لخطبتها لابنه «**عدي**» وأن الموضوع منتهٍ.

حاول «**محمد**» مـرارًا الحديث مع عمها والذي رفض بشـدة وأخبره أنه ليس من أسـرة تليق بهم وأغلق البـاب في وجهه..علمت من «**أحمد**» أن الشاب «**محمد**» أحب الإسلام وأنه سيعيش حياته لله، وسيسـأله أن يعطيه «**أسـيل**» في الحلال وغادر الإمارات مرة أخرى عائدا إلى بلده.

كنت أسمع أخباره من الانترنت لقد أصبح داعيًّا إسلاميًّا يدخل على يديه إلى الإسلام آلاف الشـباب والشابات، أغلقت «**أسيل**» على نفسها الباب تسـتمع إلى خطبه الدينية باستمرار، أصبحت «**أسيل**» فتاة غير التي عرفتها بالسابق لقد كانت نادرًا ما تصلي، أصبحت الآن لا تترك الصلاة تغلق على نفسها باب حجرتها وأجدها ليلًا تناجي الله.. حمدت الله أنني عرفت «**أحمد**» لقد غير حياتـي وحياة ابنتي إلى الأفضل، بل لقد كان سببًا في إسلام كل هذا الكم من الشباب..علم والد «**عدي**» عم ابنتـي أنني على علاقة بـ«**أحمد**» واعتقد أنها في الحرام؛ فقامت القيامة ولم تقعد، واجتمع الكل وخربت علي حياتي تمامًا. أعلم أنني بزواجي في السر حرمت «**أحمد**» من الإنجاب وهو ما زال شابًا، وابنتي سيكون لها نفس مصيري لو تزوجـت «**عديًّا**»، فما كان أمامي إلا أن أضحي أنا بكل شـيء، لقد أقنعت والد «**عدي**» أن «**أحمد**» مجرد شخص كان في حياتي، والأمر من هذا أنني أجبرت «**أحمد**» على تطليقي، وجدته لأول مرة في حياته يقف عاجزًا والدموع في عينيه، أعلم أنه كان يحبني ولكني لن أسـمح لنفسي أن يطوله سوء بسـببي، ثم بزواجي من والد «**عدي**» سـينتهي كل هذا الصراع لأنهم سـيتأكدون أن الميراث سيظل للعائلة ولن يخـرج منها، ودعت «**أحمد**» وقلبي يتمزق ودعوت الله له بالذرية الصالحة فقد كان سبب سعادتي في الدنيا.

وهربت ابنتـــي دون أن يراها أحد خارج الإمارات إلى فرنســا وأوصيت «**محمد**» عليها، وتزوجت زواجًا شــرعيًّا واختفت عن أنظار العائلة تماما وظلت علاقتي بها سرًّا..كنت أراها سعيدة كلما بعثت لي بصورها و«**محمد**» ذلك الشاب الذي أفتخر حقًّا أن يكون زوجًا لابنتي العزيزة..

وعلمـــت أن «**أحمد**» تزوج فتاة مصرية وأنجب ولدًا وكان على علاقة جيدة بابنتي وزوجها حتي إنه سمي ابنه «**محمدًا**» مثله..الكل من حولي ســعيد لقد ضحيت بسعادتي أنا من أجلهم جميعًا وأعلم أن الله لن يتركني حقًّا، كنت في الرابعة والثلاثين حين تزوجت والد «**عدي**»، والآن منَّ الله علي بطفلين «**أحمد**» و«**أسيل**»، كرست حياتي لتربيتهم كما علمني «**أحمد**»؛ لقد كان أجمل هدية في حياتي غيرتها كلها، والآن أطفالي - هبة الله لي - هدية الله الثانية.

تمت

حفنة تراب

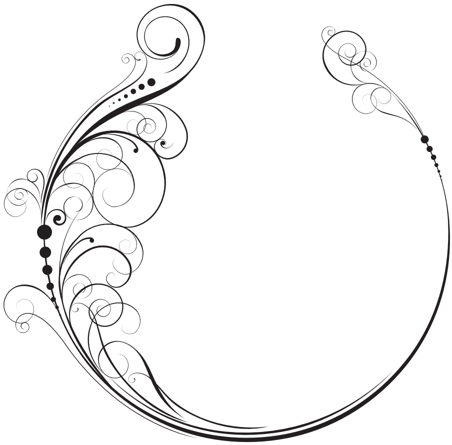

أصـوات طائرات بدأت تحلـق في كل مـكان، الرعب انتاب الجميع، والكل يجري إلى المخابئ التي لا تسـمن ولا تغني، هرولت مسـرعة معهم، وأنـا أحمل طفلـي كل واحد منهم في يـد، وأجري مسـرعة، أصوات القذائف تخرق طبقات السـماء لتنتزع معها القلب رعبًـا وهلعًا.. تمتمت بآيات القران الكريم وأنـا أحاول أن أهدئ من روع نفسي حتى لا أفزع أطفالي، المنازل تنسف من حولي كلما مررت بإحدى العمارات السكنية وجدتها تسوى بالأرض، كل هذا وأنا أجري منهم حتى أنجو بحياتي وأطفالي لا أعلم أين زوجي حتى.

كل مـا أذكره هو صوت مفزع يقترب مني وأنا ألقي بناظري إلى السـماء فأرى صاروخًا يتجه ناحيتي بسـرعة غريبـة، ثم فجأة صمت مطبق لم أسمع شيئًا بعده إلا أصوات بعض الشباب وهم ينادون: «هل من ناجين هنا؟».

ويكررون كلمتهم مرارًا وتكرارًا بدأت أتحرك بصعوبة وصوتي مبحوح فـي محاولة مني لمناداتهم فهرول إلـي أحدهم وهو يصرخ: «لقد وجدت امرأة أسرعوا.. أسرعوا».

كانـوا يرفعونني وهم يرددون: «لا إله إلا الله.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. اصمدي يا أختاه».

اكتشـفت أنهم يرفعونني من أسـفل أشـلاء آدمية حاولت أن أتحدث وصوتي بالكاد يخرج: «طفلاي أرجوكم أطفالي..».

نظر أحدهم لي ثم إلى الأرض في حزن، حاولت أن أقوم لأنظر رغم أن عيناي كانت تفتح بصعوبة لكني رفعت رأسي ونظرت حولي، فوجدت ذراعي مقطوعًا بعيدًا عن جسـدي ومطبق على أحد أطفالي الذي تمزق تمامًا، ارتعد جسـدي وبدأت أقـاوم لأبحث عن الآخر، وتوسـلت للشـاب الجالس بجواري فـي حزن وخجل ممـا أنا فيه، فأشاح بنظره بعيدًا فتتبعته ببصري حتى وجدت الآخر ملقى بعيدًا عني ولا يختلف عن أخيه تمامًا.

لا أعلم ساعتها ما الذي حدث لي لقد مات أولادي، من الصدمة والدماء التي فقدتها أغشـي علي تمامًا، أفقت في المشفى بعد عدة أيام وبجواري أمي تبكي، نظرت إليها وسالتها: «هل دفن أولادي أم لا؟».

«لا تقلقي يا ابنتي، نعم مع والدهم في قبر واحد..».

يـا إلهي لا يعلـم أحد وقع تلـك الكلمات علـي، وكأن قلبي اقتلـع مني، لم أكترث لذراعي التي فقدتهـا، فقد فقدت كل ما أملك؛ فلذات أكبادي وزوجي، وجدت والدي يتفقان مع أناس تقوم بتهريب السوريين خارج سوريا عن طريق البحر في قوارب، ويتخفون بعيدًا عن شرطة السـواحل، وكل منهم يذهب إلى بلد، وعلى قدر دفعك للنقود تكون البلد التي تختارها أفضل.

كان طلبي أن أذهب إلـى قبر أحبابي لأودعهم.. ذهبت مع أمي وأنا أجر قدمًـا خلف الأخرى إلى أن وصلت إلى مكانهم؛ مقبرة كبيرة تضـم عددًا مهولًا من أبناء بلدتي؛ كانت الغارة شرسـة هذه المرة فقد فتكت بعدد كبير جدًّا.. ارتميت بجوار القبر وتحسسـت التراب بيدي، ثـم نمت بجواره وأنا أحتضنه، كانت أمـي تبكي على حالي، وتحاول

أن تثنيني عما أفعل لكنـــي أبيت إلا أن أظل على وضعي، كانت عيناي تحدقان في صمــت وتوقفت عــن البكاء وجفــت، وأصبحت ذابلة تمامًا.. كان كل حديث أمي هــو إنقاذي وأخواتي والهرب من هنا، لم أهتم للهرب، كنت أريد الموت أكثر من أي شـــيء؛ لقد أصبحت أغبط زوجي في قبره؛ إنه يهنأ مع أولادنا في مكان واحد، إنهم معًا سويا وأنا لا.. كادت أمي أن تبكي دمًا وهي تتوســل إلــي أن أذهب معهم؛ أنا أم وأعلم كم يتمزق قلبها علي، غرفت بعضًا من التراب بيدي، وملأت به جيوب عباءتي، وانصرفت معها.

كنت محطمة كليًّا كانت أمي تمسك بي من ذراعي المتبقي وأنا لا حول لي ولا قوة، أمشي معها كالشاة المذبوحة حتى اعتلينا القوارب، أخواتي أصغر مني؛ فأنا الكبرى، أشــحت بناظري عرض البحر والماء يضربنا في كل الاتجاهات، ومــا أن وصلنا إلى منتصف البحر الطويل حتي وجدنا قوارب غارقة وســاكنيها تشــيح بهم المياه يمينًا ويسارًا، وهم جثث اتخذوا من مياهها قبورًا لهم، كم حسدت أمًّا متجمدة وفي أحضانها أطفالها موتة واحدة سويًّا.

أمسكت ببعض التراب من جيبي بيدي المتبقية وقبلته واحتضنته، وأصبح الصمت هو حليفي، لم أعد أكترث لأي شيء، وأغلقت عيناي وأنــا أنتظر قاربنا ليغرق هو الآخر حتى أقابــل أبنائي وزوجي.. ولكن قاربنا لم يغرق كبقية القوارب وصلنا إلى حدود مصر.

بعض الشــباب المصريين واقفين بانتظارنا على الشط يحملون بطاطين ومؤن غذائية، هرولوا ناحيتنــا فور وصولنا، وألقوا بالبطاطين علينا، وسيارة كبيرة بانتظارنا، جرينا ســريعًا وقائدهم ينادي: «بسرعة يا شباب قبل أن يرانا أحد».

اســـتقبلنا أحدهم في منزله، ورحبت بنا زوجته، وأصبح يقتسم الطعــام معنا، كم كان كريمًا حتى وجدنا منــزلًا صغيرًا مهدمًا، وبدأت أمي تصنع الطعام الســوري وتبيعه في الأســواق، ويساعدها أخواتي لنجد قوت يومنا رغم أن إخواننا المصريين لم يقصروا في شيء، إلا أنه يكفي ما فعلوه معنا، عليهم أن يهتموا بأطفالهم ولن يتركنا الله.

أفظع ما أوجع قلبي هو نداء الجوامع أن هناك فتيات ســوريات لمن يرغب في الزواج.. هل أصبحنا ســلعة؛ فتاة جميلة، ولن تدفع بها كثيرًا هلم للزواج منها.

الغريبة أنني بعد مضي ثلاثة أشهر من موت أطفالي وشهر على بقائــي في مصر اكتشــفت أنني حامل يا إلهي! أنا حامل، ولــم أشــعر، لا أعلم هل أبكي أم أفرح؛ فطفل ســيولد بــدون أب، وإخوته يواريهم التراب، وأمٌّ ممزقة تمامًا.

هنأني كل من كان حولي، وباركــوا لي عطية الله، ولكني كنت كما أنــا ملتزمة الصمت، ولــم أهتم بالذهاب إلــى الطبيب طيلة فترة حملي.

حتي جــاء موعد وضعي كنت ضعيفة ومريضــة، وكانت هناك طبيبــة مصرية اهتمت بي جيــدًا، وكل جيراننــا وأصدقائنا المصريين حضروا، والكل يدعو الله لي أن يعوضني ما قاسيته.. هل استجاب الله لهم بهذه الســرعة، ســمعت صوت الطفل وهو يخرج من أحشــائي ويبكي، وكأن الحياة دبت في قلبي من جديد، لقد كان ذكرًا، نظرت إليه رغم تعبي كان يشبه والده كثيرًا، ثم سرعان ما أخبرتني الطبيبة أن هناك واحدًا آخر، خرج الآخر وأنــا أبكي لأول مرة بعدما جفت الدموع من

عيني لا أصدق أن اللــه عوضني وأعطاني ولدين آخرين ليقر عيني من جديد، يا إلهي! كم أنت عظيم؟! لقد كانا يشــبهان والدهما وأخويهما بشدة، أسميتهم على أسماء أخويهم: «**أبو بكر وعمر**».

خرجــتُ من الغرفــة واحدة أخــرى لا أفعل شــيئًا إلا البكاء، احتضنتهم بيدي المتبقيــة وأنا أصرخ: «لقد أعاد الله لي أبو بكر وعمر يا أمي»، والكل يهنئني في ســعادة.. مرت أربعــة أعوام على بقائي في مصر وأطفالي يكبرون أمام عيني، وقد عادت الحياة لي معهم، أصبحت أساعد أمي في العمل.. ومعي أبنائي، رفضت الزواج فقد كانوا هم كل حياتــي، ما زلت أعيش من أجلهم، ولم أترك حفنة التراب التي أخذتها من قبر أولادي وزوجي في سوريا، بل وضعتها في صندوق صغير وكأنه كنــزي الذي ورثته لأولادي حتى أن طفلي اعتادا أن يســتيقظا صباحًا ويقولان للصندوق: «ســلامًا أبي وإخوتي طبتم، وطاب مستقركم في الجنة إن شاء الله».

تمت

فهرس الموضوعات

المقام.............. ٥
الولد................. ٢١
القبيلة.............. ٣١
ممنوع هنا........... ٤٣
الهاتف............... ٥٧
الهدية............... ٦٧
أحببت ابن عمي ولكن.......... ٧٧
جعلوني مجرمة.......... ٨٩
السجينة............. ٩٩
فتاة الروهنج.......... ١٠٧
أحببت مصريًّا.......... ١١٧
حفنة تراب.......... ١٢٥